بقدْر ما أحببْتُك... أردْتُه

ليلى عنقة

رواية

الفارابي



بقدر ما أحببتكَ...

أردتُه

رواية






الرجاء شراء الكتاب من المكتبات
دعما للكاتب ولكي لا تضيع مجهوداته سدى!
مع تحيات فريق صفحة كتب
www.facebook.com/the.Boooks


facebook.com/the.Boooks.


الكتاب: بقدر ما أحببتك... أردته

المؤلف: ليلى عنقة

الناشر: دار الفارابي بيروت - لبنان

ت: (01)301461 - فاكس: (01)307775

ص.ب: 11/3181 - الرمز البريدي: 1107 2130

www.dar-alfarabi.com

e-mail: info@dar-alfarabi.com





إهداء

إلى من ساندوني وشجعوني في كل خطوة...

إلى من أعتمد عليهم وأعتبرهم سندي

في الحياة..

إلى من دمهم يجري في عروقي...

إلى أبي وأمي وأخي!

شكراً لوجودكم إلى جانبي دوماً.

شكر خاص للأستاذ الياس العسيس الذي أمدّني بخبرته اللّامتناهية.

بِقَدْرِ ما
أحبَبْتُك... أرَدْتُهُ

كانت الساعة السابعة مساءً، الطريق تصفر والجو بارد، وهـي...

نعم هـي، كالعادة كانت تنتظره ليتناولا العشاء معاً. تنتظر وتنتظر وتنتظر ولا يأتـي.

دقّت الساعة العاشرة وها هو ذو

المنكبين العريضين يدخل من الباب ليراها مستلقية على الكنبة. كانت تنتظره حتى في غفوتها. كانت تناديه حتى في أحلامها.

كانت تحتاج إليه حتى في غيبوبتها الموقتة. وهو كان ذاك الرجل الصارم، فاقد الإحساس. ربما كانت مهنته كقاضٍ هي التي مدّته بكل هذه القوة وأكسبته ذاك العزم الرهيب في التعامل مع الحياة.

صارم! كل من عرفه كان ينعته بهذه الصفة، التي أصبحت جزءاً لا يتجزأ من شخصيته. صارم ولكن... نعم ولكن إذ لا يمكن لشخص أن يكون بشعاً من دون أن يتحلّى بشيء يزيّن روحه، صارم ولكن حكيم. إنْ أصدر قراراً فلا يصدره إلا وهو نابع من حكمته اللامتناهية.. حتى قرار

زواجه كان حكيما ًفعلًا؟! أفعلًا كان هذ القرار حكيماً، أم أنه كان وقتئذ في غيبوبة، متبرّئاً من حكمته التي لطالما أسعفته في المواقف الحرجة. أم ربما قرار زواجه لم يكن موقفاً حرجاً..؟!

أما هي تلك الفتاة التي كانت تحلم بيوم زفافها منذ صغرها، لم تكن تدرك أنّ أيام العسل لن تكون من نصيبها حتى عندما تكون زوجة القاضي عمر الذي طالما أحبّته!

ليس ذنبها وليس ذنبه أيضاً، فعمر لم يختر ساره ولكن القدر لعب لعبته. كان عمر الشاب الوحيد لدلال وعزت. أرادا أن يفرحا به، فكانت ساره، تلك الفتاة التي أنهت البكالوريوس، هي الخيار الصائب لابن




الريف على الهوية وابن المدينة والتطور والعلم على أرض الواقع. عمر لم يكره ساره، كل ما في الأمر أنّه لم يكن يرغب في الزواج، وافق فقط لإرضاء أهله الذين كانت عيونهم تبرق فرحاً للفكرة. كان زواجاً تقليدياً، حمل في طياته جميع العادات والتقاليد القروية. أصوات الطبل والمزمار كانت تزيد دقات قلب ساره التي لم تكن الفرحة لتسعها في تلك اللّيلة. ولكن كل تلك الفرحة تلاشت بعد الزواج عندما اكتشفت أن قلب عمر لا يهتف لها كما يهتف قلبها البريء له. لكنها لم تستسلم على الرغم من انشغال عمر الدائم، فكانت دوماً تحاول إدخال الفرحة إلى جميع أرجاء المنزل.

* * *

20-7-2011 تاريخ يستحق الذكر، هو ذاك التاريخ الذي توج مشروع قصة حب، ألا يفترض بعمر أن يتذكر ذاك التاريخ..؟!

أعدت ساره العشاء ووضعت الشموع وارتدت قميصها الحريريَّ الأحمر الخمريَّ ليبرز جمالها ومفاتنها، وأسدلت شعرها على كتفيها وقد غطى نهديها بطريقةٍ جذَّابة.. كانت تنتظر بجمالها الخارق قدوم عمر، على أن يدخل من ذاك الباب ويحتضنها. طلبت منه في الصباح أن يعود باكراً، وأن يؤجل جميع أعماله إلى الغد، فقبل طلبها من دون أن يشعر بلهفتها على ما يخبئه هذا النهار من تميز. وعلى الرغم من طلبها إلا أن عمر تأخر، فعمله ودراسة الدكتوراه كانا يستحوذان على كل وقته، كان مستقبله الدراسي هو الأهم.

دقّت التاسعة وها هو الرجل المنتظر يدخل من الباب بكامل أناقته كالمعتاد. بدأت ملامح الاستغراب ترتسم على وجهه وتتوضح أكثر مع وصوله إلى الصالون. المنظر أدهشه، لم يستطع أن يتذكر جماليّة هذا اليوم وتميّزه. اقتربت منه ساره، وتفادياً لخيبة أمل أرادت أن تتجنبها احتضنته وقالت:

- حبيبي كل عام وأنت بجانبي، كل عام وأنت حبيبي.

فهم عمر واسترجع شريط الذكريات بسرعة فأدرك أن هذا اليوم هو يوم ذكرى مرور سنة على زفافهما. عانقها وقال بحنكة:

- أميرتي، وجودك إلى جانبي هو مصدر دعمي، لم أجد هدية لأكافئك بها،




فهل تقبلين قلبي الذي يخفق بحبك؟!

ارتبكت ساره لسماع هذا الكلام الجميل الذي لم تسمعه منذ اقترانهما. ولكن الخوف كان يهمس في قلبها، هل يا ترى هذا الكلام الجميل هو وليد المناسبات فقط؟!

لم تشأ الاستماع إلى صوت الخوف والشك ودعته لتناول العشاء.

- لا بد أنك تعبتِ في إعداد كل هذا الطعام.

- لا يهم، ما دمت إلى جانبي وما دمت سعيداً لا مانع لديّ من أن أتعب لأسعدك.

- ألف كلمة شكر لا تكفي لأقول لكِ كد أنا سعيد.

- حبيبي، لا تشكرني، أَحبِبْني فقط!

وعلى وقع نغمات هذه الكلمات انتهت تلك السهرة التي بدأت برومانسية مفرطة وانتهت برومانسية متوسلة.

* * *

إنه صباح يومٍ جديد ولكن الروتين كان دوماً صاحب المواقف. نهضت ساره من فراشها بعد ليلةٍ رومنسية قضتها وعمر، وملأها الحب والشغف في تلك الغرفة التي لطالما كانت شاهدة على حبها له، وعلى احترامه لها. كان عمر يؤدي واجباته الزوجية فقط تجاه ساره رافضاً أن يعطي نفسه فرصة الاستمتاع بها.

يا للرجال وحماقتهم!!

تناولا الفطور وذهب عمر إلى عمله كالمعتاد وها هي ساره بعد أن انتهت من توضيب المنزل والطهو، تجلس وحيدة على تلك الكنبة لتقرأ كتاباً لأحلام مستغانمي وقد لفتتها عبارة «الحياة تنتظرك وأنت تنتظرينه».

باتت ترددها طوال النهار. فلربما حركت تلك العبارة شيئاً ما في داخلها. هذه العبارة أخذت ساره إلى عالم تفكير لا متناهٍ، ووصلت إلى قرار لا بد أن يفاجئ عمر كما فوجئت به عندما خطر ببالها. انتفضت وقالت:

- نعم سأكمل دراستي! لم لا؟! لا ينقصني شيء لأكون فتاة مثقفة وأثبت ذاتي.

وقررت مفاتحة عمر بالموضوع حين وصوله. اتصلت به عدة مرات لتؤكد له ضرورة عودته باكراً إلى المنزل. لم يكن بإمكانها الجلوس، فشوقها إلى مفاتحة عمر بالموضوع وخوفها من ردة فعله كانا يربكانها. خرجت إلى الشرفة لعلّ الوقت يمر أسرع بمراقبة السيارات. كان العرق يتصبب من يديها وعروقها ترتجف. إن هذا الموضوع دقيق وحساس جداً بالنسبة إلى ساره. إنه يحدد مستقبلها كامرأة. دخلت لتبدل ملابسها للمرة الثالثة، أرادت أن ترتدي ثياباً تليق بالخبر. وكأنها سوف تبشره بأنها حامل. ولكن هذا الخبر هو أهم من فكرة حملها، إذ إن هذا الموضوع لم يخطر قط في بال ساره وكذلك عمر على الرغم من الفراغ الذي تعيشه طوال فترة انشغاله.

ارتدت قميصاً ناصع البياض وبنطالاً «Coupe Cigarette».

إنها المرة الأولى التي ترتدي فيها البنطال. كانت التنورة هي لباسها التقليدي الذي اعتادت ارتداءه منذ أيام الضيعة. كانت تبدو جميلة بعذوبتها وأناقتها البسيطة، ووجهها الذي يبرز ملامح الطفولة. سمعت عمر يغلق الباب. ها هو قد وصل. من الأفضل أن تتنفس الصعداء قبل مواجهته. هدّأت نفسها قبل مواجهته. والشيء ذاته قامت به قبل الخروج للقائه، إذ إن صوت دقات قلبها كان مسموعاً من دون حاجةٍ إلى أي جهاز. طبعت قبلة على خده وقالت له بصوت ناعم :

- حبيبي، يعطيك العافية!

وبقبلة رسمها على وجنتيها جلس عمر إلى طاولة العشاء بعد أن أرخى الـ «-Cra vate» وغسل يديه والاستغراب واضحٌ على ملامح وجهه من جدية ساره ولباسها وحركاتها. لم يستطع عمر أن ينكر أن هذا «look» يليق كثيراً بساره. كان التعب مرسوماً على وجهه وهموم العمل والدراسة كانت تفضح شبابه.

- لقد أعددت لك البيتزا والسباغتي. تعلمت الكثير من المطبخ الإيطالي لأنه المفضل لديك.

استمرت ساره في مفاجأة عمر، إذ إنها لم تكن تدرك شيئاً عن المطبخ الايطالي. كانت قد أعدت له شيئاً جديداً ربما كمقدمة لإثبات قدرتِها على تعلم كل ما هو جديد.




* * *

انتهى العشاء وخرجا إلى الشرفة ليحتسيا القهوة. إذ كان يحلو لعمر أن يشرب القهوة مباشرةً بعد الأكل، وكانت ساره تدرك تماماً عشقه لهذه العادة وتتقنها باحتراف، وكل هذا من أجل إرضائه.

- عمر هل بإمكاننا مناقشة موضوع..؟!

- من دون شك أميرتي، تفضلي، ما الأمر..؟!

كانت الأناقة تميز أسلوب كلامه دوماً حتى في أبسط الأمور.

- عمر أريد أن أدخل الجامعة..!

كان من الطبيعي أن ترتسم علامات

الصدمة على وجه عمر. تغيرت ملامحه وكان الخبر بمثابة صدمة كهربائية قد تلقاها كما يحدث تماماً مع المتهم بعد صدور الحكم.

- عمر ما بك لا تجيب؟ ماذا حدث؟ لماذا صُدمت؟

- أميرتي، الموضوع ليس بهذه السهولة! نحن لسنا في الضيعة. هذه بيروت!

- عمر، إنني أعرف تمام المعرفة كل ما تقوله. إنني أدرك أن بيروت تختلف عن ضيعتنا ولكن لا داعي للقلق، بإمكاني أن أخوض التجربة، وأكبر دليل على ذلك أنت، نعم أنت عمر! أنت تركت الضيعة وجئت للعيش في بيروت من دون أن تحتاج إلى أحد، وها أنت الآن قاضٍ من دون مساعد أحد في مدينة كنت تجهلها وتجهل تفاصيلها

وعاداتها وناسها تماماً مثلي أنا الآن!

لم يكن عمر قادراً على خداع نفسه، فهو قاضٍ بالنهاية، وكلام ساره منطقي ولكن إجابته خَلَتْ من كل منطق، وكانت نابعة من عمر علّام الشاب القروي، وليس من عمر علّام القاضي الرصين الحكيم.

- نعم ساره ولكن أنا رجل وأنت امرأة...

كان عمر يكمل كلامه، ولكن ساره لم تكن تسمعه إذ إن هذه العبارة صدمتها: «أنا رجل وأنت امرأة»، حتى هذه المرأة التي لم تصل إلى مستواه الدراسي كانت تعلم أن إجابته لا تحمل شيئاً من المنطق، بل إنها إجابة رجل شرقي بامتياز! صعقت ساره بإجابة عمر وأنهت الحديث بصمت




وانسحبت من الجلسة لتدخل إلى غرفة النوم وتستلقي وهي سارحة بطريقة تفكير عمر التي حركت في داخلها إحساساً غريباً وكأنها تتعرف إليه لأول مرة!

* * *

نهار جديد يحمل في طياته مغامراتٍ وأحداثاً لكل فرد. اليوم من المفترض أن يسافر عمر بعد الظهر إلى باريس لتقديم امتحان الماجستير، ولكن لم يَحْظَ بفرصة إخبار ساره بالموضوع. لقد استيقظ باكراً وأعد الفطور بنفسه كعربون اعتذار لساره عن الكلام الذي صدر عنه البارحة، على الرغم من أنه مقتنع بفكرة الصعوبة التي ستواجهها ساره إن أرادت دخول الجامعة في بيروت، إلا أنه متأكد أن طريقة تعبيره

كانت خاطئة تماماً. استيقظت ساره دون أن تجد عمر بجانبها، نهضت واغتسلت وبعدها لبست روبها الساتان وخرجت لترى عمر يفاجئها بالفطور.

- مولاتي تفضلي، لقد أعددت لكِ الفطور الملكي بنفسي.

كان يتقن الكلام الجميل والأتيكيت في التعامل مع المرأة بشكلٍ رائع. وعلى الرغم من عدم حبه لساره إلا أنه كان دوماً يشعرها بأنها محور حياته وملكة في عرشها.

- حبيبي ما رأيك في أن نتحاور من جديد في موضوع دراستي..؟!

لم تيأس ساره من حديث البارحة وأصرت على التحدث بالموضوع.

- أميرتي أنا اليوم يجب أن أسافر إذ إن امتحان الماجستير بعد خمسة أيام، ويجب أن أهيء نفسي وأستفسر عن بعض الأمور. حال عودتي سوف نفكر في الموضوع من جديد، لا أريدك أن تحزني.

تنهدت ساره لسماع الخبر وقالت:

- آه حبيبي سوف أشتاق إليك!!

- أميرتي لن تكون الغيبة طويلة، ما رأيك في زيارة أهلك في الضيعة خلال هذه الفترة..؟!

- لا يا عمري سوف أنتظرك هنا إذ إن أهلي مشغولون في الحصاد.

- حسناً أميرتي إن احتجتِ إلى شيء هاتفيني وحاولي تمضية الوقت مع لينا.

- لا تقلق عليَّ حبيبي، سوف أوضّب لك أغراضك.

* * *

سافر عمر وترك ساره في حيرةٍ من أمرها. الباب يدق! من عساه يأتي لزيارة ساره في هذا الوقت. لا بدأ أنها لينا، جارتها العانس، كما عرفها الجميع. إنها، على الرغم من ظروف حياتها القاسية، تتمتع بروح مرحة تنسيك همومك. عاشت لينا يتيمة الأب والأم بعد أن غيّبَهما الموت خلال الحرب الأهلية التي اندلعت في لبنان. انتهى رامي، أخوها الذي يصغرها بسنتين، من دراسته الجامعية وسافر ليتابع دراساته العليا في فرنسا، فبقيت وحدها صامدة في منزل العائلة. لم تكن لينا تلك الفتاة القبيحة، بل

كانت تتمتع بقامة طويلة وجسم ممتلئ يبرز جميع مفاتنها الأنثوية وعينين واسعتين بالإضافة إلى سمرتها الجذَّابة. لكن وعلى الرغم من تمتعها بمواصفات تؤهلها لأن ترتبط بإنسان يحميها لبقية عمرها، اختارت لينا أن تكمل حياتها وحيدة برفضها كل من تقدم لها، وعاشت عقدة فقدانها وحرمانها لأهلها. لم ترد أن تتزوج خوفاً من أن تنجب ويحرم القدر أطفالها منها ومن والدهم. فلينا أكثر إنسانة تعرف معنى أن تكون يتيماً وأن تكبر لتجد نفسك فجأَةً، وأنت في عمر العشر سنوات، مضطراً لأن تعيل طفلًا لا ملجأ له سواك في هذه الدنيا.

- لينا جيد أنك أتيت!

آه.. أهو ده الكلام اللي بسمعو أول ما

بخش بيتك؟ إي في إي..؟!

عاشت لينا فترة طويلة في مصر بسبب عملها بعد سفر رامي، ومن ثم عادت لتستقر في لبنان، لذا أتقنت اللهجة المصرية وهي التي كانت تزيد من روحها المرحة.

* * *

- حتعملي قهوة ولا أقوم أنا أعملها..؟!

- إنتظري سوف أعدها وآتي لنتكلم.

- ما تتأخريش عندي عشاء، وما يرحش فكرك لبعيد أنا ونانسي صديقتي من مصر.

ضحكت ساره وقالت لها:

- ومن قال لك إني اعتقدت أنه عشاء غرامي مثلًا..؟!

- عشان عرفاكي حتموتي وتعرفي إيه آخر أخباري العاطفية يا بنت، إنت بطّلي بقى الحركات دول.

كانت لينا قادرة على إدخال البهجة إلى قلب ساره حتى في أصعب الأوقات. إذ إنها تلجأ إليها عندما تتشاجر مع عمر وعندما تشعر بالملل والضيق. وكانت مهمة لينا الترفيه عن ساره ومدّها بالحل الأنسب.

- الله، قهوتك يا ساره دايماً لها طعم تاني، يلا بقى قوليلي في إيه..؟!

- لينا أَنا قررت أن أدخل الجامعة وأتابع دراستي.

- ساره بتتكلمي جد..؟! ده أجمل خبر سمعته منك من يوم ما جيتي بيروت

تصدقي؟ وإنت ليه زعلانة ده خبر يجنن..!

- عمر لم يستوعب الفكرة، ولم يكن متحمساً، وكأنه كان يقصد أنه لن يكون بإمكاني أن أتأقلم مع أجواء بيروت.

- ساره أنا لازم أروح دلوقتي عشان أحضر نفسي، بس اعملي حسابك بكرا تكوني جاهزة الساعة تسعة حاخدك ونروح مشوار.

- إلى أين سنذهب؟!

ـ ما تجادلنيش، قلتلك كوني جاهزة، خلاص اعملي اللي بقلِّك عليه، والله مش حخطفك يا بنتي إطمني.. سلام.

ضحكت ساره ودخلت غرفتها لتستلقي.




* * *

ما هي إلا دقائق حتى رن جوال ساره..

- ألو أميرتي كيف حالك..؟! أنا وصلت الآن وسوف أباشر بالمذاكرة فالوقت ليس لمصلحتي أبداً!

- حبيبي أنا مشتاقةُ إليك منذ أن رحلت، بالتوفيق يا عمري، أحبك.

- وأنا أيضاً أميرتي، وداعاً..

كانت ساره تنزعج من هذه العبارة «وأنا أيضاً» كلما عبرت لعمر عن حبها أو شوقها إليه، ولكن لم تكن تشعره بالموضوع. لم يكن عمر ينتبه لانزعاج ساره من الموضوع ولكن كان يدرك ما يفعله، فعمرلم يعتد فعل





شيء لا يشعر به.

أمضت ساره هذه الليلة وحيدة، لم تكن تلك الليلة الأولى التي تمضيها بعيداً عن عمر إذ إنها اعتادت سفره كل فترة بسبب دراسته ومؤتمراته. لم يفكر عمر أن يصطحبها معه لمرة واحدة، إذ ربما كان عمله لا يسمح له بذلك، ولم تكن هي تطلب منه ذلك إذ إنها كانت تحرص على أن ينهي عمله على أكمل وجه.

* * *

الجرس يرن بقوة، وساره غارقة في نوم عميق بعد ليلةٍ من التفكير الطويل.

- ساره قومي افتحي الباب يا ساره إنت فين..؟!

- آه إنه صوت لينا!

قالت ساره بصوتٍ يغمره النعاس.

نهضت ساره وعيناها شبه مغلقتين، فتحت الباب للينا وعادت لتلقي بنفسها في فراشها.

- لا هو احنا بنلعب ولا إي؟

فتحت لينا ستائر الغرفة والنوافذ ما أجبر ساره على النهوض.

- يلّا يا بنتي حنتأخر وبكدة مش حنلحق حاجة إنت مش عارفة زحمة بيروت عاملة ازاي!

- لينا ما بك؟ إلى أين سنذهب باكراً..؟!

- حتقومي ولا حارمي عليك طشت ميّ..؟!

نهضت ساره، ارتدت ملابسها وأصبحت جاهزة لخوض المغامرة السرية بصحبة لينا.

* * *

تاكسي، الجامعة اللبنانية الأمريكية لو سمحت.

- اتفضلوا..

- لينا ما هذا الجنون..؟!!! ماذا ترانا نفعل في الجامعة..؟

سألت ساره لينا وهي لا تزال تحت وقع الصدمة، فلم تتقبل الفكرة، إذ إنها لن تقدم

على خطوة من دون علم عمر.

- اركبي يا بنتي، نشفتي قلبي النهاردة..!

كانت طرقات بيروت مزدحمة كعادتها. ساره وعلى الرغم من مرور سنة على إقامتها في بيروت لم تعتد مثل هذه الزحمة الخانقة. كيف لها أن تتقبل الموضوع وفي الضيعة جميع الأمور تقضى سيراً على الأقدام، إذ إن البساطة والهدوء ميزتان تستقطبان جميع أهل المدينة لزيارة الضيعة.

- وصلنا،اتفضلي انزلي ومش عايزة رغي كتير، آه صحيح انتي قولتلي بتحبي تكوني صحافية مش كدة..؟!

- لينا ما هذا الجنون، أقسم بالله إنه

جنون، إن علم عمر فلن يكون راضياً! أرجوك فَلْنَعُدْ!

- شفتي خوفك ده من عمر حيضيعلك مستقبلك، حتدخلي الجامعة يعني حتدخلي يا ساره، خلاص ما فيش مناقشة!!

دخلت ساره والخوف يغمر قلبها، كيف ستقدم على هذه الخطوة من دون موافقة عمر؟ كيف ستتخذ قراراً كهذا وتنفذه بغيابه؟ ولكن ألا يحق لها تحقيق حلم طالما راودها؟

- لو سمحتِ عايزين نسجل في الجامعة، ممكن تقوليلنا مكتب التسجيل فين؟

- أول مكتب على اليمين..

جرت المعاملات التقليدية واستطاعت لينا أن تنهي كل شيء، وما على ساره إلا

أن تدرس لتنجح في الامتحان المقرر بعد شهر.

وعلى الرغم من خوفها شعرت ساره بفرحة غمرت قلبها، فرحة غريبة وكأنها سوف تحقق أخيراً حلم حياتها، وهو أن تصبح صحافية مثقفة، متألقة، عالمية ربما من يدري..

- شفتي ما فيش أسهل من كدة!

قالت لينا راسمةً ابتسامتها العريضة على وجهها الذي ينبض بالحياة.

- أشكرك لينا كثيراً، أنا حقاً سعيدة على الرغم من خوفي من ردة فعل عمر..!

أجابت ساره وشعور الفرح الممزوج بالخوف واضح على ملامح وجهها.

- بطلي يا شيخة، لسة كل دقيقة عمر، عمر! خلاص هو إنت بتعملي حاجة غلط ولا عيب ولا إيه..؟! إنت ليك حق بالعلم زيو بالظبط ومالوش حق يرفض حتى لو كان جوزك!

كانت لينا تعلم أن ساره بحاجة إلى من يدعمها لمواجهة عمر، فثقتها بنفسها ضعيفة جداً.

اختارت ساره السكوت كأفضل إجابة عن كلام لينا..

- يلا بينا نحتفل بالخبر ده، أنا عازماكِ عالغدا.

* * *

عادت ساره إلى المنزل وهي مليئة




بالحياة والسعادة ولكن فرحتها لم تدم باتصال عمر.

- أميرتي كيف حالك؟

- حبيبي لا ينقصني شيء سوى وجودك إلى جانبي... عمر عدني أن لا تغضب مني ولا تكرهني مهما جرى!

- ساره، أخفتني ما الأمر؟! هل حدث مكروه؟! ماذا جرى؟!

- لا حبيبي اطمئن، كل شيء على ما يرام أنا فقط لا أدري ماذا أقول من كثرة اشتياقي إليك.

أميرتي، لم يبق الكثير، بعد غد سوف أنتهي من امتحاني وأعود فوراً.

كان كلام عمر سطحياً لا يحمل شيئاً في طياته يدعو ساره إلى الاطمئنان والتخفيف من قلقها.

جلست ساره في خلوة تقرأ كعادتها، ولكن تركيزها كان خارج نطاق الكتاب.. لم تكن يوماً مشوشة ومتوترة إلى هذا الحد. تفكير عميق كان يستحوذ على كل كيانها وحياتها في الفترة الأخيرة. لم تكن لتقتنع بحقها في التعلم والعمل، إذ إنها اعتادت الحياة المنزلية كسيدة منزل وفق ما تعلمت وتربت على عادات الضيعة وتقاليدها. ففي الضيعة عندما تنهي البنت دراستها الثانوية، تعود إلى المنزل لتتعلم الطهو والغسل وجميع تدابير المنزل، وتنتظر إلى أن «يجي نصيبها» لتنتقل إلى منزل زوجها وتطبق ما تعلمته في منزل أهلها وتحافظ

على بيتها وراحة زوجها، ليس لها أي طموحات أخرى. لذلك في وضعٍ كهذا، من الطبيعي أن ترتبك من غرابة الفكرة، فهي جديدة كلياً عليها. لكن ساره لم تكن تلك المرأة الريفية الغبية، إذ إن الكتب التي كانت تقرأها، كانت تجعلها مطلعة على أمور الحياة، كما كانت تدرك تماماً أن للمرأة حقوقاً وواجبات حيال المجتمع كما حيال زوجها. فالمجتمع بحاجةٍ إليها أيضاً لتخدمه وتمده بمواهبها وعلمها. تذكرت قولًا مأثورا لباولو كويلو: « يجب أن نخاطر، فلن نستوعب معجزات الحياة إلا إذا سمحنا لغير المنتظر بالحدوث». إن معرفة ساره وثقافتها المحدودة نوعاً ما كانتا مصدر قوة لها في ظل التطور السريع في عصرنا هذا. تمسكت بقول باولو كويلو وقررت خوض

المغامرة والمخاطرة، فلن ترضى بعد اليوم بالاستسلام للأمر الواقع.

* * *

- إزيك، هو إنت ما نمتيش بالليل ولا إيه؟! لون وشك مخطوف وعنيكي دبلانة!

- لا أنا أشعر بالتعب فقط من كثرة التفكير في موضوع دراستي، هيا ادخلي وسوف أعد النسكافيه لنشربه معاً.

أجابتها ساره والتعب ظاهر على وجهها.

كانت لينا تفهم ساره من نظراتها.. صحيح أن تعارفهما لم يمض عليه سوى سنة واحدة ولكن لينا إنسانة ذكية وحنونة، وكذلك ساره تلك الفتاة الشفافة التي تفضح




عيناها كل ما يختلج في روحها ونفسها، لا يحتاج من يحادثها إلى كثير من الحنكة ليقرأ ما في داخلها من خلال عينيها. يكفي أن تنظر في بحر عينيها لتتمكن من معرفة ما يدور في بالها. وكانت لينا جد بارعة في ذلك.

- أتعرفين اشتقت إلى عمر، شكراً لينا شكراً لوجودك إلى جانبي، فلولاك لما استطعت الصمود في هذه المدينة الساحرة والغامضة في الوقت نفسه.

كانت ساره تشعر أن ألف شكر لن يوفي لينا حقها مقابل ما فعلته معها من حين قدومها إلى بيروت حتى الآن. فلينا هي من ساعدت ساره على الخروج من الضغط النفسي الذي عاشته بعد تركها لأهلها

والانتقال إلى المدينة، وهي التي ساعدتها على تحمل انشغال عمر عنها، وهي التي عرفتها على المدينة وكانت صديقتها وجليستها في كثير من الأوقات لتسليتها ومساعدتها على تخطي المشاكل. بكل بساطة لينا هي الفانوس السحري الذي حظيت به ساره لتساعدها على تحقيق كل ما تتمناه.

- طيب شيلينا من المشاعر دلوقتي وقوليلي عاملة إيه بعد ما سجلتي في الجامعة؟ فرحانة مش كدة لأ ولا أقول طايرة من الفرح؟ زفيتي الخبر لعمر؟

- لا طبعاً لم أخبره شيئاً، لم أجرؤ أصلًا، خبر كهذا لا ينقل على الهاتف!!

- آه قد إيه إنت بسيطة وضعيفة يا

صديقتي، ساره لازم تعرفي إن في الزمن ده ما فيش مكان للضعاف، القوي هو الكسبان والضعيف حيدعسوا الأقوياء ويمشوا من غير ما يعملولوا أي اعتبار، فجمدي قلبك واظهري ثقتك بنفسك غير كدة مش حتقدري تواجهي عمر!

كانت ساره دوماً ترد على لينا بالسكوت عندما تحادثها هذه الأخيرة بالمنطق، على الرغم من أنها كانت تدرك أنها على صواب ولكن شيئاً ما في داخلها كان يسكتها عن موافقة لينا. كانت توافقها فقط من داخلها ولكنها لم تجرؤ يوماً على قولها بملْءِ صوتها.

* * *

- حبيبي اتصلت بك لأتمنى لك

التوفيق، سوف تكون الأول بإذن الله. أطبع قبلاتي الحارة على وجنتيك اللتين اشتقت أن أحفر بشفتي حبي عليهما.

- أميرتي! دعمك يقويني، سأحادثك فور انتهائي وقبل توجهي إلى المطار...ادعيلي.

- بالتوفيق.. الله معك يا عمري.

ساعات وهي جالسة لا تفعل شيئاً سوى الصلاة والدعاء لعمر، إذ إنها تدرك أهمية هذا الامتحان بالنسبة إليه، سوف ينال الدكتوراه إن شاء الله. ساعات وهي على أعصابها وعيناها على الهاتف الصامت المقفل كحجر لا روح فيه، منتظرة اتصالًا أو حتى رسالة من عمر يطمئن قلبه بها.

وأخيراً نطق ذاك الهاتف!

- أميرتي. لا بد أن لدعائك سحراً رهيباً، كان الامتحان رائعاً وبإذن الله سوف تفتخرين بزوجك دوماً.

- حبيبي الحمدلله، هذا يعود أيضاً إلى ذكائِك وتعبك وسهرك في تلك الليالي الطويلة... عمر لا تتأخر، أنتظر عودتك بفارغ الصبر.

- لا تقلقي أميرتي، أنا متوجه الآن إلى المطار، ساعات وأكون في المنزل.

لم تكن فرحة عمر لتكتمل إلا بإخبار الحاجة دلال، فهي البركة في حياته ولم يكن عمر ليصل إلى ما وصل إليه لولا دعواتها.

- كيف حالك يا أم عمر.. اشتقت إليك

كثيراً!

- عمر يا ضو عيوني إنت وأنا اشتقت إليك أكثر.. طمني كيف حالك وكيف دراستك وما أخبار ساره..؟!

- الحمدلله كل شيء بخير بفضل دعواتك لنا.. أردت فقط أن أقول لكِ أن تفتخري بابنك يا أم عمر، ها أنا خارج توّاً من الامتحان في فرنسا وبإذن الله ناجح يا حاجّة!

انهمرت دموع دلال على وجهها مدرارة، فرحتها بابنها عمر لم تكن لتعبر عنها كلمات الدنيا بأكملها! فهذا عمر، عمر الذي انتظرته عشرة أعوام ولم تنجب غيره، هذا عمر بكرها وسندها في الحياة، هذا هو عمر الذي طالما رفع رأسها ورأس أبيه في الضيعة..

- يا حبيبي يا ابني، الله يوفقك ويعطيك من وسعه.. أنا فرحانة فرحانة يا عمر فرحة لا تسعها كلمات ولا تحويها جمل.. الله يحفظك لي يا عمري.

كانت أدعية الحاجّة دلال تفرح قلب عمر وتقويه، فإرضاء أم عمر كان يوازي الدنيا بما فيها لعمر.. يا رضا الله ورضا الوالدين.

أما ساره ففرحتها لم تكن لتسعها، نسيت خوفها ودراستها وهمومها وراحت تعد الطعام المفضل لعمر، هذه المرة ليس الطعام الإيطالي بل طعام الحاجّة دلال، الأرز مع الدجاج والتبولة والكبة النية وكل تلك المأكولات التي كان يعشقها عمر، وكأن ساره قد أحست كم إن عمر مشتاق إلى والدته

وكل ما يتعلق بها. انتهت ساره من إعداد الطعام وحان الوقت الآن لأن تهيئ نفسها. لقد استحمت الأميرة واختارت ثوباً مفتوحاً من الحرير باللون الأصفر الفاتح ليبرز الشامة المطبوعة على صدرها واسمرار بشرتها. اختارت بعض الأكسسوارات الناعمة التي اشترتها في آخر زيارة لها إلى السوق مع لينا. زينت رقبتها بعقد ناعم تتدلى منه حبات لؤلؤ ووضعت قرطي الـ «chanel» اللذَيْن أهداهما إليها عمر بمناسبة عيد ميلادها. سرحت شعرها الطويل وردته «ببكلة» صغيرة لتسمح لغرتها فقط أن ترقص على وجهها. وضعت الكحل في عينيها الواسعتين واختارت اللون الوردي لترسم به شفتيها الممتلئَتين. وضعت عطر «Gucci Gulti» المفضل لدى عمر

وأصبحت جاهزة لاستقباله.

دقائق ويصل، دقائق وتراه بعد غيبة خمسة أيام مرت عليها وكأنها خمس سنوات... صحيح أن عمر هو ذاك الإنسان الحاضر الغائب ولكن كان جسر المنزل وينبوع الحياة لساره الذي تستمد منه قوتها وقدرتها على العيش.

* * *

ترجل عمر من التاكسي ولم ينس أن يحضر باقة ورد جوري لساره تعويضاً عن الأيام التي انتظرته فيها وحيدة. كانت ساره في غرفتها تعيد إلقاء نظرة أخيرة على مظهرها عندما سمعت عمر يناديها:

- أميرتي أين أنت لقد وصل حبيبك..

ركضت ساره غير مكترثة للكعب العالي الذي تنتعله لترتمي في أحضانه.

- حبيبي عمر، اشتقت إليك والله إني اشتقت إليك!!

راحت تتحسسه، تشمه، تقبله، تغمره لدرجة كانت ستقطع عليه أنفاسه. ضحك عمر من تصرفات ساره الطفولية البريئة، احتضنها ليتوجها إلى الصالون لتناول العشاء.

- كل الروائح تشير إلى المطيبات، أولها عطرك وآخرها رائحة الدجاج المحمر.

ضحكت ساره خجلًا من مجاملة عمر.

كانت تترقبه وكأنها تراه للمرة الأولى في حياتها، تراقب حركاته، طريقة أكله،

نظراته، هدوءَه، رصانته، جماله، تتأمل كل ما فيه فهي تعشقه حتى الجنون.

- أميرتي ما بك لا تأكلين؟ لا تقولي لي إنك أكلت قبل أن أصل..؟!

- بغيابك لم أفعل شيئاً سوى أن أشتاق إليك!

ودخلا إلى غرفة النوم بعد العشاء، للتعبير عن الشوق الذي كان يمتلك فؤاد كل واحد منهما. حتى عمر اشتاق إلى ساره هذه المرة. لقد شعر بغيابها، افتقدها، فقد اعتاد أن تكون دوماً في انتظاره عندما يعود. ولكن متى ستتحول هذه العادة إلى حب وعشق تماماً كحب ساره له.

كانت ليلة رومانسية بامتياز، تؤْذِنُ

بنهار جديد عسى أن يكون جميلًا!

* * *

استيقظت ساره عند الساعة الثامنة وراحت تعد الفطور لعمر. إنه لن يذهب إلى المكتب اليوم، من حقه أن يرتاح ولو لنهار واحد. إذاً هذا اليوم هو من نصيب ساره! منذ أن استيقظت كان التوتر رفيقها، عليها أن تفاتح عمر بالموضوع اليوم.. إنه الوقت الأنسب! الفطور أصبح جاهزاً، دخلت إلى الغرفة واستلقت بهدوء إلى جانبه، راحت تتأمله في غفوته وتسرح شعره بخصله البيضاء، كانت تحب رائحة جلده كثيراً كما كانت تقول الحاجّة دلال: لعمر رائحة تشبه رائحة المسك تفوح منه كلما تحرك.

استيقظ عمر ليفتح عينيه على وجه

ساره الخلوق. ابتسم، وبصوت عذب لا يمكن أن تسمعه منه إلا عندما يستيقظ قال لها:

- صباح الخير أميرتي.

- صباح الورد حبيبي، الفطور جاهز، اغسل وجهك والحق بي إلى المطبخ.

أطلقت ساره العنان لصوت فيروز العذب، إذ إن عمر كان يحب الاستماع إلى أغاني فيروز في الصباح أثناء تناوله الفطور. كانت نظرات ساره على الفطور تدل على أن هناك أمراً تود أن تقوله لعمر، كالعادة كانت عيناها تفضحانها.

- ما بك أميرتي؟... نظراتك تقول بأن هناك أمراً تريدين قوله.

ارتبكت ساره ولكن فوراً تذكرت قولاً




لهنري ميشو قرأته وعلق في ذاكرتها: «ألقِ أوراقك...أقل لك... أنت لن تربح إلا في الخساره!» عندها استجمعت جميع قواها وأجابت:

- عمر أتتذكر الموضوع الذي تحدثت به معك قبل أن تسافر..؟!

- أتقصدين موضوع الجامعة..؟!

- نعم، الجامعة...

- ولكن ساره قلت لك سوف نتكلم بهذا الموضوع لاحقاً لِمَ العجلة..؟!

- وفجأةً أطلقت ساره العنان لقوتها وقالت له بلهجة ملؤها الثقة:

- لم يعد هناك من داعٍ لأن نتكلم عمر،

فأنا تسجلت في الجامعة، وسوف أباشر الدراسة فوراً في حال نجاحي في امتحان الدخول.

من الواضح أن وقع الخبر على عمر كان قاسياً، وها هو لا يجيد الكلام المناسب ليرد به على ساره. لم يكن يريد أن يؤذيها وفي الوقت نفسه كان يريدها أن تعلم بأن تصرفاً كهذا غير مقبول.

- ساره هل أنت جادة في ما تقولينه؟ كيف فعلت هكذا؟ ومتى حدث الأمر؟ ومن ساعدك، أنت لا تعرفين شيئاً في بيروت!

- فعلًا أنا لا أعرف شيئاً هنا ولكن هذ لن يدوم طويلًا، فقد حان الوقت عمر لأن أخرج من هذا السجن!

لم تكن ساره تدري من أين استمدت قوتها في الكلام وقدرتها على مواجهة عمر. إذ إنها المرة الأولى التي يعلو صوتها في وجه عمر. ربما تحرك فيها الإحساس بالعدم وباللاوجود الذي تعيشه.

عمر لايزال مصدوماً من كلام ساره، وكان متأكداً من وجود شخصٍ ما لعب بعقلها وحرضها على هذا الموضوع، إذ إن ساره لم تكن تجرؤ على مخالفة عمر في أي موضوع. ماذا جرى الآن، وماذا حدث أثناء غيابه من تطورات قد قلبت كيان ساره وغيرت تفكيرها..

* * *

كان الغضب واضحاً على عمر، مر يومان ولم ينطق بكلمة، كان شديد التفكير

ومصدوماً من تصرف ساره، وهذا أمر طبيعي، فساره كانت له خير مطيعة منذ زواجهما، مسكينة لقد اعتادت أن ترضى بكل ما يريده خشية أن لا يغضب ورغبةً منها بأن يكون سعيداً.

لاحظت ساره غضب عمر واستياءَه من الموضوع، وكانت واقعة بين نارين؛ إذ إنها لم تكن ترغب في إغضاب حب حياتها، وفي الوقت عينه لم تكن تريد أن ترضخ للواقع الذي تعيشه. كانت الحيرة تتملكها ولم تدرِ ماذا تفعل!

بعد تفكير مطول، اختارت ساره مستعينةً بقلبها الحنون، الاعتذار من عمر والتراجع عن فكرة الدراسة.

- عمر، حبيبي أنا أعتذر عن تصرفي،

أدركت أنه لم يكن ينبغي أن أتصرف أي تصرف من دون علمك، أكرر اعتذاري، أرجوك لا تغضب، لا أحب رؤيتك مهموماً بسببي، أعدك أن لا يتكرر هذا الموضوع.

كانت تتوسل إليه وتعتذر منه كطفل صغير نادم على فعلته، وها هو يحاول الاعتذار عله ينجو من عقاب والدته.

كان عمر بقوته ورصانته، بمثابة الأَهل لساره، خصوصاً وأنها بعيدة عن أهلها. كانت تحرص على إرضائه: من جهة لأنها تحبه وترى العالم من خلاله، ومن جهة أخرى لأنه الوحيد القادر على حمايتها في هذه المدينة الكبيرة والغامضة. هذا هو الواقع الذي تنتمي إليه ساره، لم تملك يوماً من خيار سوى الرضوخ والاستسلام لرغبة عمر.





صحيح أن ساره كانت مثقفة ولكن ليس لدرجة أن تدرك أن لها حقوقاً يجب أن تتمسك بها، كحق التعلم والعمل. الحياة في الريف، لم تمنحها الثقة الكافية بنفسها التي يجب على كل امرأة أن تتحلى بها.

لم يُبْدِ عمر أيَّ ردَّة فعل أو تعليق على اعتذار ساره وكأنه كان ينتظر أن تقوم بواجبها، أو أنه كان يتوقع ذلك من هذه المرأة الضعيفة أمام جبروته. يا له من رجل شرقي! صحيح أن العلم ليس باستطاعته أن يغير الخلق والأفكار المتملكة من الإنسان مهما علا شأنه وكثرت شهاداته.. للأسف!!

* * *

تأثر ساره الشديد وحزنها على ما حدث دفعاها لزيارة لينا وإخبارها بكل ما

جرى، وكانت تتوقع ردة فعلها عندما تتلقى الخبر.

- إيه النور ده؟ زارتنا البركة، اتفضلي يا حبيبتي.

دخلت ساره وملامح وجهها لا تبشر بالخير.. كان يبدو عليها الحزن والهم، وكانت عيناها كالعادة تفضحانها. فقدت ذاك البريق الذي كانت تسحر به كل من نظر إلى عينيها.

لاحظت لينا غموض ساره وحزنها فلم تستطع السكوت.

- ساره حصل إيه؟ إنت مش كويسة، عيناك بتقول كدة.

انهمرت الدموع من عيني ساره

بصمت، تلك الدموع التي تفسر مدى ألمها وفضحت ما كانت تخبئه من حزن. كانت ساره حساسة جداً، غير قادرة على كبت مشاعرها؛ ففي كل مرة كانت تحاول إخفاء حزنها، إن لم تفضحها عيناها، كانت دموعها تترقرق على وجنتَيْها لتقوم بالمهمة.

- ساره اتكلمي، وقفتي قلبي، قوليلي فيه إيه، إتخنقتي إنت وعمر؟! حصلت حاجة مش كويسة لعمر في سفرته؟! انطقي!!

أجابت ساره وصوتها مخطوف من دموعها التي كانت خير شاهد على ألمها:

- لينا لن أكمل دراستي، عمر لم يوافق واقتنعت أن مكاني في المنزل، عليَّ أن أحافظ على منزلي وواجباتي تجاه زوجي..

- لا واضح أوي انك اقتنعتي، والدليل دموعك دي اللي فاضحاكِ!

- أرجوك لينا، لا أريد مناقشة الموضوع، لقد اتخذت قراري.

- والله؟ أمال جيتيلي ليه؟ ما هو قدومك لهنا ودموعك دي بيقولوا انك مش مقتنعة بأي حرف قلتي.

سكتت ساره كعادتها عندما كشفت لينا حقيقتها وعندما نزعت عنها ذاك القناع الذي تخبئ خلفه مأساتها.

- بصي يا ساره، أنا مش عايزة أخرب علاقتك بجوزك، بس عايزاكي تعرفي حاجة وحدة، مثل ما تنازلتي المرة دي عن حقِّك حيبقى سهل عليكي تتنازلي مرتين وثلاث

وأربع لحد ما تلاقي نفسك من غير شخصية ولا حقوق قدام عمر، وبعد كدة إنت حرة.

كان كلام لينا لا يخلو من المنطق، كيف لا وقد درست الحقوق وأتقنت أسلوب الإقناع والمجادلة بالمنطق.. صحيح أنها لم تمارس مهنتها ولم تسمح لها الظروف حتى بالانضمام إلى نقابة المحامين ولكنها لم تكن بحاجة إلى كلِّ ذلك كي تتمتع بالقوة التي تتمتع بها حالياً.

* * *

مرت أيام وساره في غموض رهيب حتى عمر استغرب ذلك، ولكن كان يعود وينسب وضعها إلى الروتين الذي كانت تعيشه. كانت ساره لا تفعل شيئاً سوى التفكير في كلام لينا والقراءة. وخلال قراءتها

لكتبها الكثيرة والمتنوعة استوقفتها هذه المرة عبارة لجبران خليل جبران أثرت فيها كثيراً «إنك لا ترى سوى ظلك وأنت تدير ظهرك للشمس». وجدت ساره في هذه العبارة أملاً وحافزاً وخلاصاً لليأس المحفور في روحها. قررت حينها التحلي بالتفاؤل وانتظار الغد بأمل لعل ذاك الشعور يخلق فرحاً حقيقياً لكل ما تتمناه.

عاد عمر من عمله وتوجه إلى الغرفة فوراً ليرى ساره. جرت العادة أن تقرأ ساره إما على الكنبة في الصالون وإما في سريرها، إذ إن في هذين المكانين تجد الحميمية الكافية للقراءة. كانت تؤمن بأن للمكان تأثيراً في مدى استمتاعك بما تقرأ، فكانت تختار أماكن تحبها وتشعرها بالراحة في كل مرة أرادت ذلك.

- أميرتي كيف حالك؟

- حبيبي أنا بخير، ما بك دخلت وكأن هناك شيئاً تريد قوله..

- فعلًا، أريد أن أقول لك إن المهندس حسن صديقي وصل من دبي البارحة، ودعوته إلى العشاء غداً هنا في منزلنا، وآمل أن لا يكون لديك مشكلة في ذلك.

أجابت ساره بكل هدوء:

- لا حبيبي، طبعاً ليس لدي أية مشكلة، لا تقلق سوف يكون كل شيء على ما يرام وسوف تكون راضياً تماماً عن الطعام وما تبقى..

- أميرتي أدرك تماماً أنك لن تخذليني، وبإمكانك أن تخبري لينا بالمجيء لمساعدتك

وبتناول العشاء معنا أيضاً.

- حسناً حبيبي سوف أكلمها وأسألها إن كانت قادرة على تلبية الدعوة.

كانت ساره طباخة ماهرة جداً، صحيح أن أطباقها كلها تقليدية ولكن لا يمكن لأحد أن يتذوقها ولا يبدي إعجابه بطعمها.

* * *

- ألو لينا كيف حالك، ماذا تفعلين؟

- أهلًا ساره، مش عاملة حاجة أدينى قاعدة بتفرج على التلفزيون.

- حسناً، إذاً أحضري لي الـ «Lap-top» وتعالي إني أحتاج إلى مساعدتك، لا تتأخري.

وبما أن لينا هي جارة ساره في الطابق الثاني، فما هي إلا دقائق حتى كانت لينا تقرع الباب.

- أهلًا بجارتي الحلوة.

- خير يا رب يا ساتر إيه الدلال ده كله؟! عايزه إيه؟! هاتي من الآخر؟!

ضحكت ساره وقالت ببرودة:

- لا تخافي لن أطلب منك أن تنظفي المنزل ولكن لا أعتقد أنه لديك مشكلة إن ساعدتني في إعداد بعض الوجبات لعشاء اليوم!.

- عشاء إيه ده؟! إيه الحكاية؟.

- بصراحة عمر دعا صديقه إلى

العشاء وأنا لا أجيد سوى الأطباق التقليدية، فأردت أن تساعديني في إعداد شيء جديد كي تكون المائدة متنوعة الأطباق، وطبعاً أنت سوف تكونين معنا.

- آه طبعاً ساره ما فيش مشكلة، قوليلي عايزة أكل إيطالي ولا فرنسي ولا خليجي ولا إيه؟!.

فكرت ساره قليلًا وأجابت:

- فلنعد بعض الأطعمة الإيطالية وطبقاً أو اثنين من المأكولات الخليجية إذ إن حسن يعيش في دبي، بالتأكيد إنه اعتاد تلك المأكولات وفي الوقت نفسه مشتاق إلى تناول أطباق مختلفة.

- كويس حنعمل اللي إنت عايزة، بس

قوليلي مين حسن ده؟! حلو؟!؟

ضحكت ساره وقالت:

- لا أعرف شيئاً عنه سوى أنه كان صديق عمر منذ أيام الطفولة وأن عمر يثق به جداً ويعتبره من أعز أصدقائه.

- أها، وبيشتغل إيه أبو علي؟!

- آه لينا دعينا نبدأ سوف يدهمنا الوقت، سأخبرك لاحقاً.

- طيب يا بنتي بس قوليلي بيشتغل إيه؟!.

- هو مهندس، ولا تسأليني المزيد قلت لك كل ما أعرفه، احتفظي بأسئلتك إلى حين مجيئه واسأليه ما تشائين، فلنبدأ الآن



بإعداد الطعام.

- ياباي عليكي، ماشي حنبتدي.

دقّت الساعة الرابعة من بعد الظهر وها هو عمر يتصل ليطمئن إلى الوضع.

- أميرتي كيف حالك؟! وكيف الاستعدادات؟!

- حبيبي لا تشغل نفسك كل شيء سيكون كما تريد، أنا ولينا أعددنا كل شيء لم يتبق سوى الحلويات ووجودكما. متى ستأتيان؟!

- آه أميرتي أشكرك، أرجو أن لا تكوني قد تعبْتِ، سوف نصل عند الثامنة، أراك إلى اللقاء.

- إلى اللقاء يا عمري.

انتهت ساره من إعداد الطعام بمساعدة لينا وبدآ بإعداد الـ«Cheese Cake» والـ«Chocolate Cake» وهذا كان من اختصاص لينا، إذ إن ساره لا تجيد إعداد الـ «dessert» الأجنبي.

كانت لينا تبرع في إعداد الحلويات وخصوصاً تلك الأجنبية. كانت تجد لذّة في المطبخ، ربّما لأنه المكان الوحيد الذي تشعر فيه أنها ملكة، فكل سيدة بحاجة الى أن تشعر بذاتها في مكان ما في حياتها حتى وإن كان في مطبخها.

انتهت التحضيرات للعشاء وانصرفت كل من ساره ولينا لتستعدا لاستقبال الرجال. شيء غريب كان يختلج في نفس

لينا، شيء لم تشعر به من قبل، وكيف لها أن تشعر به وهي لم تشارك رجلًا سوى عمر وأخيها في الطعام منذ سنين. لا بدّ أنّه شعور الرهبة أو الحاسة السادسة لشيء ما سيحدث، من يدري!

وقفت لينا وقتاً طويلًا أمام خزانته حتى تمكنت من انتقاء فستان بقصة «Chanel» يبرز مفاتنها، ذي لونٍ أحمر خمري يتناسب مع سمرتها، ووضعت عقداً من اللؤلؤ الناعم ما أعطى الفستان رونقاً. كادت تغتسل بالعطر لشدة ما تعطرت، ووضعت بعض الكحل في عينيها وقليلًا من أحمر الشفاه والبودرا الـ«bronze». ها هي لينا تلك المرأة اللامبالية عادة بمظهرها، تبدو كأميرة الليلة، حتى هي استغربت نفسها عندما نظرت في المرآة.

انتهت ونزلت لترى ساره.

- آه لينا ما هذا الجمال؟! لو أدري أنك ستكونين فاتنة الليلة لما عذبت نفسي في التبرج لأنك ستخطفين الأضواء بكل تأكيد.

ردّت لينا والتوتر المجهول السبب يرافقها:

- بصّي يا ساره لو حتستهزئي بيّ حروّح واللهّ أنا بقولك من دولقتي.

ضحكت ساره وردّت بنبرة تظهر مفاجأَتها من احتداد لينا:

- لينا ما بك؟! إنّي أمازحك، أردت فقط أن أقول لك كم تبدين جميلة، هيا ادخلي.

* * *

وضعت ساره ولينا السفرة وجلستا بانتظار عمر وحسن.

ما هي إلا دقائق حتى فتح عمر باب المنزل.

- تفضل يا صديقي، شرّفت.

خَفَّتْ ساره ولينا لاستقبال حسن.

كان حسن في الثامنة والثلاثين من عمره: رجل طويل القامة، يتمتع بجاذبية غريبة ربما استمدها من عينيه العسليتين أو من شعره الأبيض والرمادي.

كانت له هيبة تفرض نفسها، على كل من يراه من أول نظرة. كانت جميع ملامحه متناسقة، كما كان المزيج بين سمرته وعينيه العسليَّتين وتلك الخصل البيضاء يجعل منه

منافساً قوياً لأكبر نجوم «Hollywood».

- حسن دعني أعرفك بزوجتي ساره وبصديقتنا وجارتنا لينا.

- تشرفنا سيدة ساره، كذلك الأمر بالنسبة إليك آنسة لينا.

هل كان اللّقب الذي أطلقه حسن على لينا مقصوداً أو بالمصادفة. ما أدراه أنها آنسة.. لِمَ لم يقل لها أيضاً سيدة لينا؟! ما هو قصده من هذه اللفتة؟! كل تلك الأسئلة استحوذت على عقل لينا وتفكيرها حال سماعها العبارة.

- أهلًا بك سيد حسن تفضل.

جلس الجميع إلى طاولة العشاء وكانت الأحاديث تدور بشكلٍ سلس بين الجميع، إذ

كان حسن قريباً من الناس ويمتلك أسلوباً في الكلام يُشعر من يحادثه بالراحة.

انسجمت لينا مع حسن بالحديث عن مهنته وحياته وكذلك أعطته لمحة سريعة عن حياتها.

انتهت السهرة والكل كان ممنوناً وسعيداً.

- تشرَّفنا بمعرفتك سيد حسن.

- لا تقولي لي سيد لو سمحت يا ساره، لا بأس بأن ترفعي الكلفة وإلا سأشعر أني تسرعت في مناداتك «ساره».

ابتسمت ساره وقالت له:

- حسناً، لا تقاطعنا يا حسن، كلما

سمحت لك الفرصة تعالَ لزيارتنا.

- طبعاً أتشرف وقد سررت بهذه الجلسة الجميلة.

وتابع متوجهاً إلى لينا بالحديث:

- معرفتك زادتني سروراً آنسة لينا.

إنه يعيد ذاك اللقب مرة أخرى مع العلم أنّه اتفق مع ساره على التخلص من الألقاب.

اندهشت لينا من تصرفه وردّت:

- أنا هي التي تشرفت بمعرفتك حضرة المهندس حسن.

* * *

«قل يا رجل..

إلى أية غيمة تنتمي شفتاك

إلى أية أعاصير تنتمي يداك

صوب أية وجهة تمضي نواياك

كي أسافر في حقيبة مطرك

وأحط حيث تهطل».

هذا المقتطف لأحلام مستغانمي استوقف لينا وهي تتصفح الـ«Internet» بعدما عادت إلى منزلها. استوقفتها تلك الكلمات لتذكرها بحسن. وكأن القدر أراد لها أن تتذكره مع العلم أنها لم تتوقف عن التفكير فيه، منذ رحيله. سحرها ذاك الرجل، احتلّ كل قطعة منها احتلالًا شديد القو لدرجة أن عناصر جسدها وروحها لم تتمكن من مقاومته. استسلمت لتينك العينين اللتين

لا تعطيان مجالًا لكل من ينظر إليهما أن
يقاومهما. لينا تلك المرأة التي لم تلتفت إلى
رجل منذ سنين ولم تعطِ نفسها وقلبها فرصة
للتعرف إلى أي رجل، ها هي تسقط أمام
عيني حسن وهيبته وشخصيته، كعصفور لا
قدرة له على الطيران.

لينا هي السبب الوحيد في وحدتها
وعزلتها التي تعيشها، هي التي أضاعت
فرصاً كثيرة كانت تخوّلها أن تعيش الحبّ.

لطالما كان قلبها يصرخ صرخةً موجعة
طالباً الحبّ، ولكنّها كانت تتجاهل تلك
الصرخة، صرخة الألم، صرخة الشوق،
صرخة الشغف، صرخة الخوف من
العنوسة!! عاشت لينا سنواتها الثلاث
والثلاثين وهي وحيدة، ترفض خوض تجربة





الحب والزواج وبناء عائلة، عاشت صراعاً مع ماضيها وطفولتها، ربما اعتادت العيش وحيدة، ولكن ما من إنسان يعتاد الوحدة، ما من إنسان يحبّ أن يقضي عمره وحيداً وأن يموت وحيداً!

ربما استطاع حسن أن يشعل تلك النيران المنطفئة في قلب لينا منذ سنين. ربما استطاع أن يقنعها بنظرة من عينيه كم تستحق الحياة أن نقاتل من أجل أن نستفيد من كل لحظةٍ فيها.

* * *

- حبيبي الفطور جاهز، اغسل وجهك وتعال.

كانت ساره تمارس نشاطاتها الروتينية

بامتياز، ولكن كانت تلك العادات التي عليها تكرارها في كل يومٍ تشعرها بأن وجودها في الحياة غير مهم وأنها لا تقوم بأي عمل يشعرها بهذا الوجود.

تناول عمر فطوره وانطلق إلى عمله وانطلقت ساره إلى دوامها الرسمي في تنظيف المنزل والطهو ومن ثم القراءة. كانت فترة القراءة فرصة لساره لتخرج من الواقع الذي تعيش فيه. دخلت إلى مكتبة عمر واختارت كتاباً لباولو كويلو. أعدت كوباً من «الكابوتشينو» وجلست على الأريكة لتسترسل في قراءة الكتاب. كانت تقرأ وتقرأ ولا تمل، كانت تحبّ القراءة والتعرف إلى الكتّاب والدخول إلى عالمهم الذي يبنونه في تلك الصفحات. درست ساره اللغة الإنكليزية في المدرسة ولكن مستواها كان ضعيفاً

بعض الشيء، فعملت على تقوية لغتها الإنكليزية من خلال قراءة كتب أجنبية. لم تكن تلك الفتاة التي تستسلم للواقع ولكن مع عمر كان الوضع مختلفاً، عمر الوحيد الذي كان قادراً على الوقوف في وجه طموحها.

استوقفتها جملة قالها باولو كويلو «وعندما تريد شيئاً، الكون بأسره يتآمر لمساعدتك على تحقيق ذلك».

استحوذت تلك الجملة على تفكير ساره. وفجأة قرع الجرس. كانت لينا، إذ مرّت أيام ولم تأتِ لزيارة ساره.

- آه وأخيراً، حسبت أنك سافرت! أين أنت مختفية منذ ذاك العشاء؟!

كانت لينا هامدة، صامتة، هادئة على




غير عادتها.

- أنا هنا، حروح فين يعني هو في مكان تاني ممكن أروحو ولسة قاعدة هنا.

كانت لهجة لينا تملؤها المرارة ويغلفها الحزن. وكان من الواضح أن شيئاً ما قد عكّر مزاجها وسلبها ابتسامتها التي لم تكن تفارق وجهها.

- لينا ما بك، لست على ما يرام وهذا واضح عليك؟! ما الأمر؟!

- ما فيش حاجة، كل ما في الموضوع إنّي مالّه شوية وقلت أنزل أتونس معاكي.

- إذا كان الأمر كذلك، سأعد لك كوباً من الكابوتشينو وآتي لنتحدث.

كانت لينا شديدة التفكير منذ أن التقت حسن. فكّرت في أشياء كثيرة، كوضعها وحياتها والعمر الذي يمرّ وهي وحيدة. أشياء كثيرة فرضت عليها هذه الحالة المأسوية التي تعيشها.

- ها هو كوب الكابوتشينو كما تحبينه، هيا قولي لي الآن ما الأمر؟!.

- قلتلك ما فيش، يمكن جيه الوقت اللّي لازم أعمل فيه تغييرات في حياتي.

- تغييرات، مثل ماذا؟!.

- دعك مني ساره الآن، أنا مش عارفة مالي عشان أقلك، قوليلي إنت حصل إيه في موضوع دراستك؟! فكرت كويس في الموضوع؟!.

تنهدت ساره وكأن جبلًا من الهموم يحتلّ قلبها:

- لا داعي للتفكير لينا، حتى وإن فكرت، هذا لن يغيّر شيئاً من الواقع!.

- أنا مش فاهمة إنت ليه استسلمتي بالسرعة وبالسهولة دي؟! يا بنتي بصّي حواليكي حتلاقي إن إنت الست الوحيدة اللّي بتسمع كلام جوزها على حساب مستقبلها. الحب مش كل حاجة يا ساره صدقيني. إنت مش عارفة الزمن ده مخبيلك إيه لازم يكون عندك سلاح تدافعي بي عن نفسك إذا ما كنتش الظروف لمصلحتك. والسلاح ده هو العلم وشهادتك، غير كده مش حتفرقي حاجة عن الشغالة اللّي بتغسل وبتكنس وبتطبخ. فوقي بقى!!.

كلام لينا كان منطقياً وقوياً ما دفع ساره إلى الاقتناع به والتمرّد على الواقع الذي فرضه عمر عليها.

كانت صرخة التمرد التي أطلقتها ساره نابعة من أعماقها وهي نتيجة القمع الذي عانته طوال هذه الفترة. بعد الحديث مع لينا قررت ساره مواجهة عمر مرة أخرى بالموضوع ولكن بفرق واحد أنها هذه المرة لن تقبل الهزيمة. رسخت في ذنها فكرة الدراسة وأنه يحقّ لها كأي امرأة أخرى أن تكون لها حياتها الدراسية والعملية إلى جانب حياتها الشخصية.

* * *

- ألو، حضرة المهندس حسن، أنا لينا صديقة ساره، إزيك؟!.

- أهلا آنسة لينا. أنا بخير الحمد لله، كيف حالك أنت؟!.

- أنا كويسة، أكيد اتفاجأْت من اتصالي.

- بصراحة نعم، فوجئت ولكن تأكدي أني لم أنزعج بل كنت أنتظر أن يحدث شيء جميل.

ارتبكت لينا من كلام حسن وشعرت بأنوثتها التي لم تشعر بها منذ زمنٍ بعيد.

- سيد حسن....

قاطعها حسن وقال لها بكل هدوء:

- أرجوك فلنرفع الكلفة بيننا.

شعرت لينا بالارتياح أكثر بعد طلب

حسن.

- طيّب يا سيدي، أنا قاصداك في خدمة وأتمنى ما تكسفنيش.

- بالطبع تفضلي.

- بصراحة أنا عايزة أغيّر ديكور بيتي وعايزة مهندس شاطر وعمر وساره حاكولي عنك كتير، فلو ما فيش مانع، حكون ممنونة لو ساعدتني.

- آه، ظننت أنك ستطلبين مني أن أحلّ لك مشكلة عاطفية أو شيئاً آخر أكثر تعقيداً، بالطبع سأساعدك، سأمر عليك اليوم عند السادسة إن كان الوقت يناسبك.

كان في كلام حسن شيء من التلميح شعرت به لينا منذ أن التقته في منزل ساره.

كان كلامه مبطناً ولكن يحمل معاني كثيرة، إن تمعنت فيه سوف تفهم ما قصده.

أجابت لينا بسرعة:

- أكيد ما عنديش حاجة، حتلاقيني مستنياك الساعة ستة.

موضوع تغيير الديكور كان مجرد حاجّة من لينا للقاءِ حسن، فلينا لم تهتم قط بتلك الأشياء. لم تغيّر مكان غرضٍ واحد منذ أن توفِّي أهلها. كان واضحاً أن لينا تبحث عن الحجج وتخترعها بالأحرى لمجرد أن ترى حسن مرة أخرى.

* * *

«من يركع فكرياً ولو لمرة واحدة ينسى كيف يقف ثانيةً». بهذه العبارة للكاتبة غادة

السمان تسلحت ساره لتواجه عمر بموضوع دراستها. هذه المرّة كانت تنتظره بحرارة كبيرة تغمر قلبها، تلك الحرارة النابعة من التصميم على إثبات ذاتها. لم تعد ساره ترغب في تمثيل دور طفل في الحضانة لا يسعه فعل أي شيء إلا بموافقة والدته أو كطفل ينتظر أن تفعل له والدته كل ما يريده. حان الوقت لتخرج ساره من هذا العالم، عالم الخضوع، عالم الـ «النعم»، عالم اللاشيء... لتصرخ وتثبت لعمر وللجميع أنها موجودة.

- ألو، كيف حالك يا أمي اشتقت إليك كثيراً وإلى والدي!.

- ساره يا حبيبتي المنزل خالٍ تماماً بغيابك! كيف حالك وكيف عمر؟!.




- نحن بخير، أردت أن أخبرك خبراً سارًّا.

- أبشري يا ابنتي، ولد أو بنت؟.

كان الجميع في الضيعة ينتظر الحفيد بفارغ الصبر ولكن لا أحد كان يدري أن ساره وعمر لا يفكران في الموضوع حالياً أبداً.

- أمي لا أريد أن أخذلك ولكن لست حاملًا، قلت لك إنِي وعمر قد أخّرنا موضوع الحمل قليلًا.

- ساره قولي لي ولا تكذبي هل هناك مشاكل بينك وبين عمر؟! هل حاولتما وفشلتما؟! هل من خطأ؟!.

كانت تلك الأسئلة توتر ساره إذ إنها

فعلًا لم تكن ترغب في الإنجاب حالي خصوصاً بعد أن فكرت في دراستها، وعمر كذلك مشغول في عمله ودراساته العليا! كان الوقت هو المشكلة الوحيدة ولكن هذا لم يكن يزعج عمر وساره.

- أمي أرجوك اسمعيني، لا يوجد مشاكل ولا أي شيء، كل ما في الموضوع أنه لا نريد أطفالًا حالياً أرجوكِ لا تقاطعينه أريد إخبارك أنني قررت دخول الجامعة.

الصدمة والفرح كانا الجواب للخبر الذي زفّته ساره لوالدتها، إذ إن الفكرة غريبة على امرأة عاشت حياة الريف إذ قلّما ما يسمح للفتاة بالدخول إلى الجامعة، فإمّا أن تتزوج وإمّا أن تساعد والدتها في المنزل.

- أمي ما بك؟! لم هذا السكون؟!.

استدركت رابعة نفسها وقالت بصوت مخطوف:

- تدخلين الجامعة؟! من أين جئت بهذه الفكرة يا ساره؟! وما رأي عمر في الموضوع؟.

كان على ساره أن تواجه أمها أيضاً. آه لم أتخيل يوماً أن موضوع الدراسة يحتاج إلى كلِّ هذه المشاكل والمعارضات!

- أمي أرجوك أردت إخبارك لتعرفي لا لتحاسبيني! إفرحي ودعك من الباقي لا داعي للقلق.

- حسناً يا ابنتي ولكن إيّاك أن تخالفي عمر فهو زوجك.

كان كلام السيدة أم أحمد يحمل في

طياته كل الأفكار الوراثية التي تناقلتها الضيعة منذ أجيال.

- نصف الألف خمسمية. هذه هي العبارة التي كانت ترددها ساره عند كثرة الهموم والمشاكل لتهوّن على نفسها الموضوع ولتذكر نفسها أن الحياة بخير وكل المصاعب تهون.

* * *

إنها السابعة وها هو عمر قد عاد إلى المنزل. كانت ساره في غرفتها غارقة في بحر من التفكير والتخطيط لمستقبلها الذي بدأت ترسمه بخيوط من ذهب على طرقات وردية.

دخل عمر الغرفة ورأى ساره سارحة،

جلس بجانبها ووضع يده على كتفها:

- ساره، بم أنت سارحة أميرتي.

عادت ساره إلى أرض الواقع بعد أن لاحظت قدوم عمر.

- آه حبيبي جيد أنك وصلت، كنت أفكّر وأخطط لدراستي كيف ستكون وماذا سأكون يوماً ما عندما أتخرج من الجامعة وأي مركز سأتبوّأ... وتساؤلات كثيرة سوف يكون الزمن كفيلًا بالإجابة عنها جميعاً.

أجابته ساره بهدوء تامٍ وببريق أمل يلمع في عينيها.

فوجئ عمر بكلام ساره إذ إنه اعتقد أن حوارهما الأخير قضى بأن تمحو ساره فكرة الدراسة من رأسها.

- ساره.

قاطعته ساره قائلةً:

- إسمع عمر، أنا لم أخبرك بالموضوع بغية أن نتشاجر أو نتحاور أو ما شابه. أنا أعلمك بما قرّرت، هذا كل شيء.

كان واضحاً أن ساره قد استعانت بثقتها بنفسها التي طالما خبّأتها طوال هذه السنين. كانت عيناها تبرقان وتبثان نيراناً تخبر كل من نظر إليهما أنها لن تتراجع عن قرارها، وأنه لا يمكن لأحد أن يقف في طريقها.

كانت صدمة عمر بشخصية ساره الجديدة كبيرة، فاجأته ساره بإصرارها على الموضوع وبمواجهتها له مع العلم أنها لم

تكن تجرؤ على مخالفته في أبسط الأمور وذلك لسبب واحد، حبّها له وسيطرته عليها من خلال هذا الحبّ. ولكن اليوم أدركت سارة أن الحبّ لا يمكن أن يبني مستقبلًا من دون الاستعانة بأشياء أخرى. كانت ساره متمردة في قرارها وفي كلامها، كانت متمردة على « المنطق اللا منطقي للأشياء». قررت إعلان ثورة على كل ما عاشته من روتين وخضوع و«هبل» حتى يومها هذا. لقد آن الأوان لتتقن لغة القوة ولتكسر جدران الصمت التي كانت تختبئ خلفها.

* * *

- أهلًا بك، دقيق في مواعيدك كما يجب أن تكون في عملك.

استقبلت لينا، حسن بهذه العبارة.

وهي متوترة:

- أنا أحترم كل ما له قيمة في الحياة، وأعتقد أن للوقت أكبر قيمة في حياتنا.

كانت إجابات حسن متقنة، كأنه ينتقيها من حقل للّغة البليغة.

- كويس، تفضل نشرب قهوة ونتكلم عن موضوعنا.

كان التوتر واضحاً على لينا إذ إنها المرة الأولى التي تستضيف فيها رجلًا في بيتها. فقدت لينا ذاك الحسّ بالتعامل مع الرجال، الذي لم تعرفه ربما من الأصل.

كان حسن يلقي نظرة على تصميم المنزل، بعين المهندس تارةً وبعين رجل يزور امرأة في منزلها لأول مرّة تارة أخرى.

أعجبته أشياء واستغرب أخرى وأشياء كثيرة أراد أن يغيرها.

- إيه رأيك؟! في حاجات لازم تتغير مش كده؟!.

سألته لينا وهي تضع القهوة والبسكويت على الطاولة في غرفة الجلوس.

جاء حسن وهو لايزال يتأمل المنزل وينظر إلى لينا علّه يكشف شخصيتها من خلال شيء ما في أركان المنزل.

- هناك بعض الأشياء التي أعجبتني ولكن طبعاً هذا لا يمنع أن يكون المنزل بحاجة إلى إعادة تصميم من جديد، حسب ما يبدو أن بناءَ المنزل قديم والتصميم أيضاً قديم ولا يحمل أي شيء من العصرية.

- ما غيرّتش حاجة من ثلاث وعشرين سنة، كبرت وسبت كل حاجة على حالها، ذكرى من أبوي وأمي بس آن الأوان إنّي أغيّر ولا إيه رأيك؟!.

اكتشف حسن أول خيط في حياة لينا وهو موت والديها وهي في سن صغيرة، لم يشأ أن يغوص في التفاصيل خشية أن تنزعج، فاكتفى بما أخبرته إياه وعاد ليجيبها:

- آه بالتأكيد، كل إنسان بحاجة إلى تغيير في حياته، وباعتقادي أن للمكان الذي يعيش فيه الإنسان تأثيراً كبيراً في نفسيته وحياته.

- كويس، يبقى حقلك بفكر في إيه وتدّيني رأيك.

- حاضر، تفضلي.

ساعات وساعات من الشرح والتخطيط جمعت بين لينا وحسن، كان يتأملها وهي تشرح له، يدرس أبعاد وجهها، يدقق في عينيها اللّتين تحملان الأسى على الرغم من ضحكتها التي ترتسم كقوس قزح على وجهها لتستقيم بها كل الحياة، فمها كان يرقص ويخرج أحلى النغمات التي تصل إلى قلبه لتملأه بالفرح.

وكان الوضع مماثلًا بالنسبة إلى لينا إذ إنها كانت تحقق هدفها في تأمل حسن من خلال شرحه للتفاصيل التي يريد تعديلها في المنزل. كان التحديق إلى عينيه بمثابة مراقبة القمر في ليلة صحراوية. وصوته، ذاك الصوت الرجولي الجبلي الذي يمزج بين

الرصانة والهدوء كنفحات هواء ربيعية تدخل الدفْءَ إلى قلبها. كانت تنطبق على لينا في تلك اللحظات جملة لغادة السمان وهي: «لو لم تكن حنجرتي مغارة جليد لقلت لك شيئاً عذباً يشبه كلمة «أحبك»». كانت مشاعر لينا قد بدأت بالذوبان بعد أن جمّدتها سنين من الوحدة والحرمان وجعلت منها جبالًا من الجليد تماماً كجبال الألب.

- حسناً إذاً، سوف أباشر العمل بحسب ما اتفقنا.

سعدت لينا بالتعامل مع حسن وبفكرة أنها ستلتقيه كثيراً.

- أنا سعيدة إنّي بتعامل معاك يا حسن، يشرّفني أن يصمّم منزلي مهندس كبير زيك.

ابتسم حسن وقال لها:

- هذا كثير عليّ فأنا لا أستحق كل هذا المديح، على كل حال سوف أعمل ما بوسعي لتكوني راضية عن العمل الذي سأقوم به، إلى اللقاء.

وبابتسامة عذبة ودّعت لينا حسن، وفتحت جبهة معارك في داخلها، وتظاهرات تنادي باسمه.

* * *

اليوم، اليوم هو اليوم المنتظر.. استيقظت ساره باكراً وهيأت نفسها لامتحان الـ«EEE»، هي على موعد مع أول خطوة من مشوارها القادم. كان التوتر واضحاً عليها.

وعلى الرغم من معارضة عمر للفكرة، إلا أنه لم يستطع أن يراها في هذه الحالة من دون أن يحاول التخفيف عنها وإعطاءَها بعض المعنويات، فهو أدرى الناس بتلك اللحظات التي يكون فيها الإنسان بحاجة إلى كلمة كي يشعر بالسكينة.

- ساره لا تخافي ستنجحين، أنا واثق بك وبقدراتك، حتى إنك قد حضّرت كثيراً في الآونة الأخيرة، لذلك دعي الخوف جانباً، اتكلي على الله وسوف ترين كم أنّ الأمر سهلٌ.

شعرت ساره ببعض الارتياح من كلام عمر، غمرته وقالت له:

- ادعيلي يا عمر، أرجوك يجب أن أنجح.

- سوف تنجحين أميرتي، لا تخافي.

أظهر عمر كعادته صورةَ الإنسان المتّزن الذي يسكن في داخله، على الرغم من رفضه التام لموضوع دراسة ساره إلا أنه لم يزد من توترها، بل حاول التخفيف عنها ونجح فعلًا، إذ إن ساره تحتاج فقط إلى كلمة من عمر حتى تشعر أنها امتلكت الكون بأسره. أوصلها عمر إلى الجامعة وطلب منها أن تتصل به فور انتهائها ليعود ويوصلها إلى المنزل.

دخلت ساره الجامعة واستدلّت على القاعة التي سيجري فيها الامتحان. شعرت برهبة الموقف بمجرد رؤيتها القاعة التي كانت كبيرة وتحوي الكثير من الطلاب. لم تعتد ساره ذلك المشهد، إذ إن صف المدرسة

في الضيعة كان صغيراً جداً ويضمّ عشرين تلميذاً، أما هنا فالطلاب بالمئات.

سيطرت ساره على أعصابها وتوجهت نحو مقعدها، استمعت إلى التعليمات وانتظرت توزيع مسابقات الامتحان. كان قلبها ينبض خوفاً ورهبة من الموقف وفرحاً وفخراً بنفسها وبمثابرتها للوصول إلى هذا المكان.

We will distribute the exams» right now, you have 3 hours in «.order to finish. Good Luck

وعلا صوت المسؤولة لتعلن بداية الامتحان!

* * *




لم يستطع عمر التركيز في شيء، كان يحل القضايا ويراجع الملفات ولكن عينيه كانتا فقط تقرآن الحل أما عقله فكان في مكان آخر.. كل تفكيره كان مأخوذاً بما جرى مع ساره وبفكرة دراستها، حين تزوّجا لم يكن يتوقع أن تفكر في يوم من الأيام أن تكمل دراستها خصوصاً أنها فتاة نشأت في محيط ملتزم بعادات وتقاليد تفرض عليها الالتزام بقرارات زوجها، ولكن يبدو أن ساره تمردت على كل هذه العادات على عكس عمر الذي لايزال يتمسك بروح القرية المحافظة. من المفروض أن يكون عمر عكس ذلك، أن يكون منفتحاً ومتحضّراً أكثر وأن يدافع عن حقوق المرأة بعد أن جال في معظم مناطق العالم وخصوصاً الأوروبية منها، حيث يفترض أنه أدرك أن للمرأة حقوقاً

تماماً كأي رجل، ومن حقها الأساسي أن تتعلم وتشغل المراكز العليا كأي رجل في العالم. ماذا عن الملكة إليزابيت والملكة رانيا وملكات كثيرات غيرهنّ وعن الوزراء السيدات والعديد من المناصب التي احتلتها الفتيات والسيدات في العالم. ولكن لم يكن لذاك الرجل الذي يتمتع بروح شرقية وبقلب قروي وبعقلٍ عنيد كالحجر أن يقتنع بكل هذه الأفكار، على الرغم من كل ما يدركه من حقائق عن هذا الموضوع. والغريب أكثر أنه قاضٍ ومن المفروض أن يكون قد درس حقوق الإنسان وواجباته في إحدى المواد التي انخرطت في عقله تماماً كاسمه، ولكن هكذا هو الرجل الشرقي يتعلم الحقوق ليطبقها ويعطيها للجميع إلا للمرأة التي تخصه، فهو يعتقد أن لزوجته أو ابنته قوانين لا يضعها

إلا هو ضمن دستور خاص به ومواد تتناسب مع ما يتمنّاه وما يريده.

غريبٌ أنت أيها الرجل الشرقي!!

ولكن ساره لم ترضخ لهذا الواقع وقررت الوقوف بوجه كل هذه الأفكار التي تشكلت من مخاوف ورجولة ما عرفت معنى الرجولة في حياتها. فكما يقول المثل العربي الشهير: «المرأة تستطيع أن تخبئ حبها لأربعين سنة، لكن لا تستطيع أن تخبئ اشمئزازها وغضبها ليوم واحد». وها هي ساره مثال للمرأة العربية المناضلة المدافعة عن حقوقها في زمن كثرت فيه الذئاب التي تنهش لحم كل امرأة ضعيفة.

* * *

You still have 10 minutes,»
take a final look on your answers
.«before we collect the papers

علا صوت المسؤولة منذرة بانتهاء الوقت، ولكن هذا لم يكن مصدر توتر لساره لأنها كانت قد انتهت من الامتحان وها هي تراجع بانتظار تسليم المسابقات. كان عمر ينتظرها عند باب المدخل الرئيسي، خرجت ساره وكانت تطير بمشيتها تماماً كفراشة قد ولدت توّاً وتعلمت الطيران. كان الفرح يرتسم على كل ملامحها وحركاتها. لاحظ عمر أن ساره سعيدة وتنهد تنهيدة من الصميم كأنه يشكر اللهّ على توفيق ساره. في هذه المرحلة كان عمر شديد التناقض، فمن ناحية لا يريد لساره أن تتعلم ومن ناحية أخرى يفرح لفرحها، وكأن صوت الضمير يصحو فيه

فجأة ليعود ويختفي.

ركضت ساره إلى السيارة وارتمت في أحضان عمر:

- حبيبي كان الامتحان سهلًا جدا وبإذن الله سوف أكون من الناجحات.

ابتسم عمر وقال لها:

- أميرتي، إنْ شاءَ الله سوف تنجحين، أنا متأكد أن الله لن يخذلك.

- سوف تصدر النتائج بعد عشرة أيام وإن لم أُوَفَّق هناك دورة ثانية يمكنني الالتحاق بها.

- لا أعتقد أنك ستكونين بحاجة إلى دورة ثانية أميرتي.

أجابها عمر وهو ينظر إلى عينيها ملتمساً الفرح فيهما.

* * *

- مساء الخير لينا، أنا آسف أني حضرت من دون أن أتصل ولكن كنت قريباً من هنا وفكرت في أن أصعد لأشرب معك فنجان قهوة وأطلعك على ما قمت به حتّى الآن.

صُدمت لينا برؤية حسن إذ لم تكن تتوقع قدومه في هذا الوقت ولا في هذا اليوم. ارتبكت إذ كانت ترتدي الـ«Pyja-ma» ولكنها سيطرت على الموقف بذكاء.

- آه أرجوك، اتفضل يا حسن، ثواني بس عقبال ما غيّر هدومي وارجعلك تاني




إنت ما بقتش غريب.

شعر حسن بتغريدة في قلبه بعد أن اعترفت له لينا أنه ليس غريباً وبعد أن رآها لأول مرّة بثياب النوم، خالعة تلك الثياب التي تكبّلها. ولكنها سرعان ما عادت إلى سابق عهدها وارتدت ملابسها لتستقبله مرة أخرى استقبالًا تغمره فرحة عارمة بحضوره.

- يا أهلًا بالمهندس حسن، زارتنا البرك والله.

ضحك حسن وأجابها بروح مرحة وباللهجة المصرية:

- البيت منوّر بوجودك فيه مش ناقصه حاجة وحياتك.

ضحكت لينا من طريقة حسن واحمرّت

وجنتاها من المضمون.

- تعالي لكي أوريك ماذا قررت بشأن بعض التفاصيل التي تخصّ الصالو والمطبخ وغرفة النوم.

أجابته لينا وهي تتوجه إلى المطبخ:

- ماشي أديني جاية، حاعمل القهوة، نشربها وإحنا بنتكلم.

كانت علاقة لينا بحسن قد بدأت تتخطى حدود علاقة العمل التي كان من المفروض أن تجمعهما إذ بدأت خيطان شرارة الإعجاب تتشكل بين الطرفين، وأصبح العمل والديكور مجرد حاجة يختبئ وراءها كل منهما كي يرى الطرف الآخر.

- آمل أن يكون قد أعجبك تصميمي،

وطبعاً إن كان لديك أي اعتراض فأنا جاهز لأسمعك وأعدّل التصميم كما تريدين.

بصراحة لم يكن للينا مجال بأن تعترض، فحسن مهندس بارع في عمله ويتقن كل تصميم يقوم به فاقتنعت بكل ما قاله.

- لا أبداً ما فيش حاجة، ده انت شغلك يجنن يا أبو علي.

ضحك حسن، فاستدركت لينا الموضوع وقالت له:

- آسفة أنا اتاخدت بالحديث، أصل في مصر كل اللّي اسمهم حسن بندّيهم لقب «أبو علي».

- آه أرجوك، لا داعي لتعتذري،




ضحكت فقط لأن عفويتك أعجبتني، هذا كل ما في الموضوع، ولو سمحت أنا لن أسمح لك بمناداتي سوى «أبو علي» من اليوم وصاعداً.

ابتسمت لينا وقالت له:

- ما شي يا سيدي، خلاص نسينا حسن وبقى اسمك ولقبك أبو علي.

كانت الـ«Chemistry» واضحة بين لينا وحسن والانجذاب يجمع بينهما بشكل واضح. وربّنا يوفق!

* * *

إنه الواحد والعشرون من تموز، ويفترض أن تظهر نتيجة ساره في أي وقت. استيقظت ساره باكراً واتصلت بلينا كي

تنزل وتتلقى معها النتيجة لأن لها الفضل بما وصلت إليه.

- يا حلاوتك يا جميل، إيه ده حتبقي بنت جامعة وما حدش حيقدرلك من هنا ورايح.

- يا رب يا لينا، من تمّك لباب السما.

- يا بنتي تفاءَلي شوية، ما انت اللي قايلالي بنفسك إنك عملت كويس أوي.

كانت لينا تقول هذه الكلمات لساره ولكنها كانت تدرك تماماً أن هذا الوقت قبل صدور النتيجة حتى وإن كان الطالب متأكداً مئة في المئة أنه سينجح، يكون التوتر رفيقه حتى ظهور النتيجة.

- يلا تعالي نفتح الـ«Website»

ونشوف إن كان نزلوا النتائج ولا لسّه.

انتظرت ساره ولينا ساعة تقريباً ولا شيء حتى الآن. قرّرت لينا الاتصال بالجامعة والسؤال عن النتيجة بدل حالة التوتر التي انتقلت إليها من ساره.

Hello, please I want to»
.««know the results, of the «EEE

Yes, sure give me your»
.«name please

.«Sarah Abdel Kader»

.«Ok wait please»

كانت ثواني الانتظار تمر على ساره ولينا كأنها دهر من الوقت، وفجأة علا صوت

الفتاة وهـي تقول:

«Congratulations Mrs. Sarah, you’ve passed the exam and you are welcome to be one of our students».

لم تستطع لينا أن تمسك أعصابها وصرخت بصوت عالٍ.

«OH, thank you, thank you very much».

رمت السماعة أرضاً وصرخت في وجه ساره:

- افرحي يا بنتي إنت انجحتي، يا حبيبتي ربّنا يوفقك كمان وكمان.

سقطت دموع الفرح على وجنتي ساره وكانت أصدق تعبير عن فرحتها، إذ إنه لا يوجد كلام يعبّر عن مدى سعادتها بالخبر.

- إيه؟ مش حتكلّمي عمر وتقوليلو؟ حتفضلي ساكتة وقاعدة كده؟! قومي يا بنتي كلّمي وفرّحي، ده أكيد حيفرح أول ما يسمع الخبر.

لم تكن ساره ترغب في إخبار عمر عبر الهاتف لسببين، الأول كي يكون لها متّسع من الوقت كي تفرح قبل أن تحزن لردة فعله، والثاني لأنها أرادت أن ترى ردة فعله وجهاً لوجه وتتأكد من فرحه أو حزنه عندما تزفّ له الخبر.

* * *

كانت لينا تسترخي في سريرها بعد توتر وتشنج عاشته مع ساره منذ بداية النهار، وفجأة علا صوت هاتفها، إنه حسن، خفق قلب لينا بسرعة على غير عادة واستقامت في السرير لتجيب كما لو أن حسن كان يراها كيف ستجيب عبر الهاتف، ولكن إنه الحب يا عزيزتي الذي يدفعك إلى التصرف اللامنطقي والخالي من التفكير في كثير من الأوقات.

- ألو....

- لينا كيف حالك؟! آمل أن لا أكون قد أزعجتك.

كيف لحسن أن يزعجها وقد أصبح مصدر سعادتها ومفاجآتها في الحياة.

- إطلاقاً، كنت قاعدة ما بعملش حاجة، إزيك يا حسن؟! خير في حاجة؟!.

- بصراحة أنا وحدي وفكرت في أن نخرج لنتمشى قليلًا على «الروشة»، م وقت طويل ولم أتنشق هواء بيروت ولم أنظر إلى بحرها، وبإمكاننا أن نتناول العشاء بعدها إن أردت، أعرف مطعماً رائعاً.

من دون تفكير وعلى عكس عادتها أجابت لينا بسرعة.

- آه طبعاً موافقة، نص ساعة وحكون جاهزة.

- حسناً إذاً سوف أمرّ عليك بعد نصف ساعة بالضبط.

لم تكن الفرحة لتسعها، وأخيراً سوف

تمشط طرقات بيروت برفقة رجل، سوف تتناول العشاء أمام الجميع مع رجل وليس مع غادة أو نانسي أو غيرهما من الصديقات اللواتي كنّ طوال هذه السنين ملاذَها الأول والأخير.

اتجهت نحو خزانتها وأخرجت جميع الملابس، اختارت ماذا ترتدي في هذه الليلة المميزة.

راحت ترتدي وتخلع كل ملابسها إلى أن قررت ارتداء فستان من الدانتيل الناعم الأسود وزينته بطوق من الفضة. تبرّجت وكانت مرة من المرات القليلة التي تعتني بها لينا بنفسها إلى هذا الحد. نظرت إلى نفسها في المرآة وتأملت شكلها طويلًا لتتأكد أن كل شيء على ما يرام. لم تكن بحاجة

إلى الكعب العالي بفضل طولها فاختارت كندرة حمراء لا يتجاوز كعبها الخمسة سنتيمترات، حملت حقيبتها الحمراء من «Dior» وأصبحت جاهزة لتنطلق مع حسن إلى ليلة لا بد أنها لن تُنسى.

* * *

ها هو عمر قد عاد إلى المنزل وكانت ساره تنتظره غير قادرة على كبت فرحتها، فما إن دخل من الباب ورآها حتى لاحظ فرحتها التي انتشرت وبانت في كل أرجاء المنزل.

- عمر أعطيني البشارة!.

لم يكن عمر يتوقع أن تنجح ساره في الامتحان على الرغم من دعمه لها، إذ إن

لغتها الإنكليزية ضعيفة بعض الشيء ولكن الأمر الذي لم يكن يدركه أن ساره قد ساعدت نفسها بنفسها واستعانت بالكتب والإنترنت لتقوية لغتها.

- ما الأمر أميرتي؟! لم كل هذه السعادة، ماذا جرى؟!.

- عمر لقد نجحت، نعم أنا نجحت وسوف أدخل الجامعة، باركلي عمر.

صُدم عمر وكان هذا واضحاً على وجهه ما دفع ساره إلى كبت مشاعرها بعد أن لاحظت علامات جمعت بين الصدمة والخيبة ترتسم على وجه عمر. نجاح ساره كان تأكيداً لعمر أنها لن تستسلم لرغبته وسوف تبذل ما بوسعها لتتعلم. حاول عمر إخفاء مشاعره ولكن ليس من السّهل عليه أن

يخدع ساره التي تشعر به حتى في صمته، وتفهمه حتى في هدوئه، وتعرف ما يودّ قوله حتى في كتمانه للكلمات.

ردّ عمر بصوت تغمره الخيبة: «مبروك أميرتي! ساره ألن تتراجعي عن فكرة الدراسة هذه؟! ليس من المناسب أن تكملي دراستك وأن تقولي لي بعدها أريد أن أعمل، لن أقبل هذا، أنا لا أريد أن أسرق منك فرحتك ولكن حاولي أن تفهميني! ماذا سيقولون في الضيعة إن علموا؟! ماذا سأقول لأهلي؟!».

كانت صدمة ساره بطريقة تفكير عمر تكبر يوماً بعد يوم، وكان عمر يؤكد لها من خلال كلامه أن علمه، ومع الأسف، لم يثمر فيه على الأقل في ما يخصّ التحضّر!

أجابت ساره والحسرة تنهش قلبها وروحها:

- هذا هو همك عمر؟! أهذا كل ما تفكر فيه؟! حسناً سوف أجيبك عن كل أسئلتك بكلمة واحدة «لا يعنيني»! نعم عمر لا يعنيني ولا يهمني رأي العالم، وما سيقولونه، بربك أي ذنب أو عيب أقترفه إن قررت متابعة دراستي؟! ما بك عمر، أنت تفاجئني يوماً بعد يوم! لم أكن أعرف أن الجذور القروية والعادات الشرقية لاتزال مترسخة في عقلك، على الرغم من التمدن الذي عشته طوال هذه السنوات! أنا مصدومة بك عمر؛ مصدومة! كلامك هذا كالإشارة الحمراء أوقف سير فرحتي ولكن لم ولن يؤثر في إصراري على إكمال ما بدأت به!.

كانت ساره تتكلم بنبرة جديدة، بلهجة مختلفة عن اللهجة التي كانت تتبعها البنت الريفية البسيطة، وكأن ذاك الامتحان لم يخوّلها دخول الجامعة فقط، وإنما أعطاها بطاقة خضراء لتواجه كل من يقف في طريقها، حتى إن كان حبيب الروح، حتى إن كان عمر!

* * *

وصلت لينا برفقة حسن إلى مطعم «عبد الوهاب» في الأشرفية، بعد مشوار على البحر لا ينسى. كان هذا المطعم من المطاعم المفضلة لدى حسن ويحب أن يزوره برفقة أشخاص مميزين.

- ما رأيك بالمطعم؟! هل أعجبك؟!.

أجابت لينا والفرح يغمر وجدانها:

- يجنن، يشبهك بهدوئه وكلاسيكيته.

ابتسم حسن منسجماً بكلام لينا ووصفها له.

كان هذا اللقاء لمصلحة كل من لينا وحسن إذ ساعدهما على التقارب أكثر. بدآ الحديث عن المنزل والديكور لينتقلا إلى الأحاديث الخاصة والشخصية.

- ما رأيك أن نخرج من هذا الـ«Mood» قليلًا ونعطي فرصة للأحاديث الشخصية أكثر بأن تشق طريقها، طبعاً إن كان الأمر لا يزعجك أو يحرجك.

كانت لينا تنتظر هذه الفرصة والمبادرة من حسن لتتعرف إليه أكثر وتدخل إلى

أعماق حياته الشخصية.

- لا أكيد، ما فيش إزعاج ولا حاجة، أنا أصلًا حياتي ما فيهاش مغامرات، حيا طبيعية، عشت وحيدة ولحدّ دلوقتي أنا وحيدة، ربيت أخي الصغير بعد موت أهلي وكبّرته لحد ما بقى «Business Man» دلوقتي بيشتغل وبيكمل دراساته العليا في فرنسا.

كان كلام لينا سطحيّاً ولكن حسن لم يعتبره كذلك إذ استخلص منه كم أن لينا تعاني في داخلها من تلك الوحدة المرّة التي عاشتها، والتي تتحدث عنها باشمئزاز كأنها مرض مزمن يأبى أن يفارقها قبل أن يقتلها!

- ولماذا لم تتزوجي وتقتلي هذه الوحدة؟!.

اندفع حسن في سؤاله مجرّداً نفسه من التفكير، ولكنه استدرك الموقف وتابع:

- أعذريني إن تجاوزت حدودي ولكن لا يمكنني أن أسمع قصة كهذه من امرأة لا ينقصها شيء للزواج وأن لا أسأل سؤالاً كهذا!.

ابتسمت لينا وقالت بروحها المرحة التي لم تفارقها يوماً.

- لا يا شيخ ما تاخدش في بالك، أنا اتعودت على السؤال ده، بس بصراحة إنت اللّي لازم تتعود على إجابتي، «تجاهلت نصيبي».

كان جواب لينا مبطّناً ويحمل من الغموض أطناناً ممّا لم يسمح لحسن أن

يفهم، ولكنه لم يرد إزعاج لينا بأسئلته المتطفلة خصوصاً وأنه أول حديث لهما عن هذه المواضيع، علماً بأنه كان يتوق شوقاً ليكتشف ما في داخل هذه الإنسانة من أسرار!

استدركت لينا الصمت المسيطر، وتفادياً لأسئلة حسن التي لم ترد الإجابة عنها في الوقت الحالي، أخذت الكرة إلى ملعبها وقالت له:

- إفتكر إنك قولتلي إننا حنتكلم عن أحاديثنا الخاصة، وإنت لحدّ دلوقتي ما كلمتنيش عن نفسك، إنت حتتهرب ولا إيه؟!

ضحك حسن وأبدى إعجابه مجدَّداً بروح الفكاهة التي تتمتع بها لينا، والتي كانت من الأمور التي جذبته إليها.

- أنا لا شيء سوى مهندس «شاطر» مثل ما تقولين عني، وبقية حياتي يمكنك أن تبدأي بمعرفتها منذ الآن.

لاحظ حسن أن لينا لم تفهم قصده فتابع مستدركاً:

- طالما كنت أقول إنّني عندما ألتقي ذاك الشخص المميّز الذي سيتملكني ستكون حياتي قد بدأت حينها، لذلك لم يكن لحياتي شيء يستحق الذكر قبل الآن، وإن أردت أن أكون صريحاً أكثر، لا شيء يستحق الذكر في حياتي أو الوقوف عنده قبل أن ألقاك لينا.

صدمت لينا بحديث حسن واعترافاته الخطيرة، إذ إنها لم تكن تتوقع صراحته المفرطة، لم تكن لتعلم أنه يملك موهبة في

الكلام الجميل كما الرسم الجميل، انعقد لسانها ولم تعد قادرة على التعبير.

- لو سمحت الحساب.

كان حسن شديد الذكاء إذ إنه لم ينتظر جواباً من لينا أو أي كلمة، بل كان يقصد أن يفاجئها ويتركها وتفكيرها في كل كلمة قالها لها حتى إنه لم ينطق بأي كلمة بعدها طوال الطريق كي لا يضيع تأثير كلماته في جوف لينا. أوصلها إلى منزلها، والصمت كان سيد الموقف خلال العودة، لم ينطق بحرف طوال الطريق ولكنه رمى بآخر كارت لهذه السهرة عندما أوصلها إلى المنزل:

- أراك حينما شِئْتِ وكيفما شِئْتُ.

غريب هذا الرجل! تركها مع كلمات جديدة تفكّ ألغازها وحدها في تلك الليل وذهب. لم يكن يطلب منها أن يراها فقط، ترك لها حرية اختيار الموعد ولكن ترك لنفسه أيضاً حرية التفكير فيها بقوله: «كيفما شئت»، فإن كانت لن تسمح له برؤيتها بعد اليوم، سوف يراها بطريقته الخاصة، بقلبه الذي احتلته كعساكر نظام مستبد، وبعينيه اللتين انطبعت صورتها في داخلهما.

* * *

لم تكن تلك اللّيلة مقررة للنوم إذ إن وظيفة لينا كانت فك الألغاز في تلك الساعات الطويلة. دخلت منزلها ورمت نفسها فوق سريرها، فرحة، مصدومة، متوترة، ضائعة، بل إنها كانت مزيجاً من





المشاعر وكتلة من الانفعالات التي يمكن أن تنفجر في أي لحظة لتبوح لحسن بأنه الرجل الوحيد الذي حرّك فيها ساكناً وأنعش قلبها بعد حالة من الغيبوبة دامت سنين وسنين.

ظهرت معالم الفجر الأولى ولا تزال لينا سارحة في سريرها، تفكر في كل كلمة قالها حسن وتعيد كل عبارة نطقت بها شفتاه، لتلتمس الحب والحنان في كل كلمة قالها.

كانت تردّد اسمه همساً، كان اسمه بمثابة ترنيمةٍ بين شفتيها يسكب فرحه في جميع خلايا جسمها. لكن وعلى الرغم من كل هذا الحبّ، كانت لينا خائفة، نعم خائفة من خوض تجربة الحبّ للمرة الأولى وهي في هذا العمر، خائفة من غدر مشاعرها التي تجمّدت لسنوات. ولكن ما المانع أن تعطي نفسها فرصة قبل فوات الأوان. وأن تعطي

هذا الإنسان فرصة أيضاً ليسعدها ويسعد بها ومعها. أشرقت شمس نهار جديد حاملةً في أشعتها الذهبية، خيوطاً من الأمل، رفيعة ولكنها ذات تأثير كبير تماماً كتأثيرها في حياة البشر والحيوانات والنباتات.

لم تنم لينا طوال الليل لتستيقظ، راقبت شروق الشمس من نافذة غرفتها، كانت لاتزال تحت تأثير الصدمة، إلى أن قرع جرس المنزل. انتفض جسد لينا، أهو حسن؟! ولكن لا، حسن ترك لها حرية اختيار موعد لقائه. اتجهت إلى الباب وفتحت لتظهر ساره أمامها.

- صباح الخير يا حلوة، عمر خرج باكراً، فقررت أن أشرب النيسكافيه معك في «صبحية» هادئة.

دخلت ساره وأعدت النسكافيه فيما كانت لينا تستلقي على الكنبة بقميص نومها الوردي الساتان الذي كان بلون وجنتيها اللتين اكتسبتا لوناً وردياً منذ تلقيها كلمات حسن.

أحضرت ساره النيسكافيه، وراحت تخبر لينا عمّا جرى بينها وبين عمر من نقاش حول موضوع الجامعة، ولكنها فجأة أدركت أن لينا في عالم ثانٍ بعيد كل البعد عمّا تريده ساره.

- لينا بما أنت سارحة؟ أنا أحادثك منذ ساعة وأنت كالغائبة عن الوعي؟! ماذا دهاك؟!.

أجابت لينات بصوت منخفض:




- آه ساره اعذريني حبيبتي، أنا سرحت شوية، قوليلي كنت بتقولي إيه؟!.

فهمت ساره أن شيئاً ما قد حدث وأن لينا تخفي أمراً ما، إذ لم تكن في هذه الحالة من قبل، إنها المرّة الأولى التي ترى ساره فيها لينا وهي في حالةٍ من الضيا ع.

- لا لن أعيد كلامي ولن أنطق بحرف واحد قبل أن تقولي لي ماذا جرى؟! ما الذي دفعك إلى هذه الحالة؟!.

- ما فيش يا ساره والله أنا تعبانة بس مش أكثر.

- حسناً إن كان الأمر كذلك سوف أرحل.

همّت ساره بالخروج فأوقفها صوت لينا

النابع من قلبها:

- حسن بيحبني!.

كان وقع الخبر على ساره ليس أقل بكثير من وقع الصدمة على لينا.

عادت ساره وهي تركض:

- ماذا؟!! أخبريني بسرعة ما جرى؟! كيف عرفت؟! هل اعترف لك؟! هيا تكلّمي!!.

- لا هو ما اعترفليش بالحرف الواحد لكن قال لي كلاماً وصَّلي من خلاله الفكرة، تصوّري يا ساره، حسن بيحبني أنا، المهندس العظيم بيحب ستّ زيي في العمر ده!!.

- هل جُنِنتِ؟! لماذا تقولين هكذا؟! لا

ينقصك شيء كي لا يحبك، على العكس هو الذي عليه أن يخاف من رفضك إياه.

ساره على حق، على حسن أن يخاف من جواب لينا، فمشاعرها الثلجية قد تجبرها على التضحية بحياتها الخاصة من أجلِ الوحدة التي تعيشها.

* * *

إنه الواحد والعشرون من أيلول، والجامعة ستبدأ غداً! ساره متوترة من أول نهار لها في الجامعة ولا يوجد مكان أو شخص تلجأ إليه ليرفع عنها خمار التوتر الذي حجب لون وجهها وابتسامتها الجميلة؛ فعمر لم يكن راضياً عن الموضوع أصلاً ولايزال عند موقفه، أما لينا فهمومها وصدمتها وانشغالها بالتفكير في كلام





حسن وكل تلك الأمور تكفيها، لا مجال لأن تتحمل هموم ساره أيضاً. قررت ساره أن تخفف عن نفسها بنفسها، عمر خرج مع حسن وها هي تدخل غرفتها لتهيء ملابسها لأول يوم في الجامعة. وضّبت حاجاتها وأصبحت جاهزة لبدءِ المغامرة غداً. خلدت ساره إلى النوم من دون أن تنتظر عمر هذه المرة، لأنها كانت تعلم أن العلاقة متشنجة هذه الفترة بينهما، ففضلت النوم على مواجهته من جديد، فغداً ينتظرها موعد مع أول خطوة في طريق صعب ستمشي فيه بمفردها، من دون مساعدة أحد!

* * *

استيقظت ساره باكراً، فأول محاضرة لها كانت عند الساعة التاسعة، أعدت




الفطور لعمر، ارتدت ملابسها، تركت له رسالة تخبره فيها بذهابها إلى الجامعة وانطلقت.

كانت ساره تشعر بالخوف، إذ إنه لا يوجد أحد ليساندها ولكنها لم تكن لتبالي فهي قادرة على الاعتماد على ذاتها.

تاكسي. لو سمحت إلى الجامعة اللبنانية الأميركية.

الطريق كان مزدحماً، إنه أول يوم في الأسبوع والجميع متوجهون إلى أعمالهم ومدارسهم وجامعاتهم، تماماً كحال ساره. وصلت ساره إلى الجامعة في الوقت المحدد، كانت تحمل الجدول في يدها، إذ إن لينا قد طبعته لها لتتمكن من حفظ الصفوف والساعات في أول فترة.

Please, Where can I find»
.«.the Nicol Building

It’s up there. Go straight»
.«and you will find it

.«Thank you»

كان شعار ساره ابتداءً من هذه اللحظة أن «الإنسان اللّي بيسأل ما بضيع». وكان الفضل أيضاً للينا التي دوّنت لها جميع التفاصيل التي يمكن أن تحتاج إليها. دخلت ساره الصف وجلست تنتظر بدء الحصة. كان من الواضح أنها غريبة عن هذا الجو المشحون، إذ إنها المرة الأولى التي تختلط فيها بشكل فعليّ بسكان المدينة. حاولت أن تتأقلم مع الجو ولكن كان في الأمر قليل من الصعوبة، لكن بالنسبة إلى ساره ليست




مشكلة، الوقت كفيل بترتيب كل الأمور!

إنها الرابعة بعد الظهر وها هي ساره تنهي أول نهار لها في الجامعة، كان صعباً بعض الشيء ولكن فيه متعة، متعة التعلم والتعرف إلى أناس جدد. فرحت ساره بأول نهار لها ولكنها كانت مرهقة، استقلت أول تاكسي وعادت إلى المنزل، أرادت أن تصل وتستلقي في سريرها لتزيل كل التعب الذي جمعته خلال هذا النهار.

ما فعلته كان إنجازاً، أن تذهب إلى الجامعة بمفردها، وتتمكن من الانخراط في هذا المجتمع الغريب عنها حتى لو بشكل خجول، كان بمثابة نجاح لها كونها غريبة كلياً عن كل من عرفتهم اليوم وغريبة عن الجو العام تماماً. لكن الاندفاع والعزم لا

يعرفان الهزيمة، وها هي ساره تتسلح بأسلحة لا يمكن أن تخذلها، إذا عرفت كيف تستعملها وتستفيد منها.

* * *

مرّ أسبوع ولينا لم تكلّم حسن، حتى هو كان ملتزماً بكلامه وترك لها حرية مكالمته، كما أنه التزم بالشق الثاني من كلامه «أراك.. كيفما شئت»! كان يراها في كل مكان، حتى عندما يغمض عينيه. لكن لينا لم تصمد كثيراً أمام جدار الصمت الذي حاولت بناءَه كإجابة عن كلام حسن، فكما تقول غادة السمان: «كل الذين يكتمون عواطفهم بإتقان... ينفجرون كالسيل إذا باحوا». وهذه كانت حال لينا، بعد صراع طويل مع قلبها وانهزامها أمام العواطف




والحب الذي اختلج في فؤادها، حملت الهاتف وراحت تكلّم حسن:

- عايزة أشوفك على عدد الثواني.

بهذه العبارة، اختصرت لينا حديثاً طويلًا كان يشق طريقه بين حسن وبينها اختصرت مسافات من الشوق والانتظار. لا بل وضعت حداً للانتظار الذي طالما تسلل إلى حياتها كلصّ ليخطِف منها كل فرحة ابتسم حسن وردّ عليها قائلًا، تاركاً الحديث لقلبه الولهان:

- اتصالك غيّر مجرى سفن الحب في قلبي، هي لم تكن لترفع راياتها البيضاء البتة ولكن كانت تهمّ بالعودة إلى الشطّ اتصالك غيّر مسيرتها، إذ عادت لتبحر في بحر من المشاعر والأحاسيس. شكراً لك

لينا.

كان كلام حسن عذباً، كلام يختلج في فؤادك حتى من دون إذن. وكانت لينا تقول إن حسن كان يجب أن يكون شاعراً لا مهندساً.

- ما رأيك بهذه المناسبة الرائعة أن نخرج للاحتفال الليلة، فكما بدأ نهاري بخبر رائع أريد أن أختمه بنكهة أروع.

فرحت لينا ولم يسعها سوى القول:

- أينما شئت!.

* * *

وصلت ساره إلى المنزل بعد معاناة عاشتها على الطريق بسبب الزحمة. لم يكن





عمر قد عاد من عمله فكان بوسعها أن ترتاح قليلًا قبل إعداد العشاء.. استحمت واستلقت لبعض الوقت لتصحو بعد ساعة وتعد الطعام. كانت ساره تعمل على التوفيق بين دراستها وحياتها الزوجية فلم تكن تريد أن تشعر عمر بأيّ نقص كان بسبب دراستها والبداية كانت تبشر بالخير. أعدت ساره الطعام ولم تمرّ لحظات حتى وصل عمر. اندهش من الروائح الزكيَّة التي تفوح من المطبخ، فلم يكن يتوقع أن تكون ساره قد امتلكت الوقت الكافي للطهو.

- يعطيك العافية حبيبي.

- شكراً أميرتي، لا بدّ أنك تعبت اليوم، الدراسة من جهة والمنزل من جهة أخرى.

كان عمر يحاول التأثير في ساره،

ورسم صورة محبطة للوضع الذي ستعيشه إن استمرت في دراستها. ولكن حتى هذه المحاولات باءت بالفشل، فساره لم تكن لتتراجع عن قرارها مهما حدث.

- أبداً، فأنا الآن ولأول مرة منذ سنوات أشعر بأنني أعيش وأتنفس!.

كان إصرار ساره على متابعة مشوارها، يقلق عمر يوماً بعد يوم، إذ إنه حاول بأكثر من طريقة أن يمنعها ولم يستطع. ولكن ما كان عمر يستغربه هو أنه لماذا كان يحاول منعها؟ هل لأنه فعلاً متمسك بالعادات والتقاليد؟ أم لأنه رجل شرقي بعقلية شرقية متحفظة؟ أم وأم وأم.. ولكن الـ «أم» الأهم كانت لأنه يشعر بأنه بدأ يخسرها؟ هل لأنه بدأ يشعر بمدى

أهميتها في حياته، وبما كانت تقدمه له؟!

كان تفكير عمر مشوشاً وألف «هل» و«هل» يطرق باب أفكاره في اليوم. ولكنه هو أيضاً قرر الإصرار على التأثير فيها لتعود إلى المنزل كما كانت.

* * *

- تفضلي لقد وصلنا يا سيدتي.

شعرت لينا ولأول مرّة بوجودها كأنثى مع حسن! كل الفضل يعود إليه وإلى طريقة تعاطيه معها. كان رقيقاً، عذباً، محترماً، حنوناً، خلوقاً.. كان «Gentleman» بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ. ربما كان نصيب لينا وقدرها أن ترفض كل من تقدم لها لتفسح في المجال لهذا البركان أن ينفجر

ويعيد الحياة إلى قلبها.

كانت سهرتهما ممتعة، فرصة ليتعارفا أكثر وليقترب الواحد من الآخر. المشاعر بحاجة إلى ترويض، بعد فتورها وتجميدها لمدة طويلة، وهذه اللقاءات كانت كفيلة بذلك. تحدثا عن أحوالهما وأوضاعهما وأنهيا السهرة بوعد أن يكرّرا هذا اللقاء كلّما سمحت الفرصة.

عادت لينا إلى المنزل وهي تشعر بفرحة تَغْمُرُ قلبها لأول مرّة، لم تعرف كيف تصف هذا الشعور ولكنه جميل. جميل لدرجة أنه جعلها تشعر بجمالها. وقفت لينا أمام المرآة تتأمل نفسها، تنظر إلى وجهها، تتحسس تلك التجاعيد الصغيرة التي ظهرت حول عينَيْها وحول فمها حين تضحك وراحت

تتساءل:

- يا ترى ليه حسن حبّني وأنا داخلة على الأربعين. أكيد ما حبّش التجاعيد اللّي ابتدت تملى وجهي ولا الشعر الأبيض اللّي ابتدا يظهر ولازم أصبغه كل فترة، ولا حتى البقع البنية الداكنة اللّي اترسمت تحت عيوني!! ليه ما اخترتش بنت في العشرين جميلة، رشيقة، بشرتها نضرة، تنبض بالحياة، هو مش ناقصه حاجة على العكس الشيبة هيبة عند الرجالة!!.

كانت تلك الأسئلة تكاد تفقدها صوابها ، فلأول مرّة تفقد لينا ثقتها بنفسها ، تشكك في قدرتِها على جذب رجل وسيم. قررت الخلود إلى النوم والكفّ عن التفكير فالحبّ ليس بحاجة إلى العقل.

* * *

كانت العلاقة بين لينا وحسن تتطور أكثر فأكثر يوماً بعد يوم، فحتى اليوم مرّ عام على تعارفهما. وفي هذا اليوم يصدف أن يكون آخر امتحان لساره في سنتها الأولى. لقد اجتهدت ودرست آملةً أن تنجح وتنتقل إلى السنة الثانية بتفوق.

أخذت ساره تاكسي واتجهت إلى الجامعة لتقدم آخر امتحان. كان عمر مسافراً، فبعد أن نال الماجيستير أصبح يعقد الكثير من المؤتمرات في الخارج ويُطلب من قبل محاكم روسيا وفرنسا للتباحث في بعض القضايا.

انتهت ساره من امتحانها واتصلت بعمر لتطمئنه مع أنها تعلم أنه لا يهتم ولا

يتمنى لها النجاح ولكن هذه كانت رغبته.

- أجل حبيبي لقد قدمت آخر امتحان، وها أنا الآن متوجهة إلى السوق يلزمني بعض الأغراض سوف أشتريها وأعود إلى المنزل لأرتاح، قل لي أين أنت، متى ستعود؟!.

- الحمد لله أميرتي، أنا سأكون في بيروت بعد أسبوع إن شاء الله، عليّ أن أنتظر ريثما تنتهي القضية التي وكّلوني بها.

- حسناً يا عمري انتبه لنفسك، أنا بانتظارك.

- إلى اللقاء أميرتي....

كان الفتور واضحاً بين ساره وعمر،

كلمات الحب تلك التي كانا يتبادلانها هي مجرد عادة ولكن القلبين كانا باردَيْن. لم يشعر عمر قط بالحبّ تجاه ساره ولم يقدّر ما تفعله، حتى إنه لم يفكر في تشجيعها يوماً، بل كان يعاملها على عكس ذلك وكأنها ترتكب جريمة، أما ساره، فبدأ يتعبها ذاك الحبّ، أصبحت تشعر وكأنه جبل على قلبها، لم تعد تشعر بالراحة والأمان من خلاله كما اعتادت. كانت العلاقة متشنجة جداً.

* * *

- أنا زهقانة إيه رأيك لو نطلع نتغدى برّا النهار ده.

كانت لينا دوماً تفاجئ حسن بطلباتها المفاجئة والعفوية. ضحك حسن وقال كعادته:

Your wish is you command .my fair lady

- أين تريدين أن نذهب؟!.

- إيه رأيك لو نروح نتغدى بمطعم على البحر؟!.

- لا مانع لدي أبداً، ساعة وأكون قد انتهيت من عملي وأمرّ لآخذك.

استعدت لينا للذهاب وكالعادة ارتدت أجمل ما لديها، ففي كل مرة كانت ترافقه كانت تريده أن يراها أجمل.

كانت جلساتهما تمتدّ لساعات، يتكلمان ولا يملّان، غروب الشمس أو شروقها كان ينبههما إلى الوقت ليكتشفا أن عليهما العودة.

عادت لينا إلى المنزل بعد تمضية وقت ممتع برفقة حسن، ومرّت لتزور ساره فلم ترَها منذ أن بدأت امتحاناتها.

- أهلًا لينا حبيبتي اشتقت إليك تفضلي.

- إزيك يا بنتي ده انت اللّي وحشتيني، طمنيني عملت إيه في امتحاناتك؟!.

- الحمد لله، كانت الامتحانات سهلة وبإذن الله ناجحة مع أنني متوترة.

- التوتر ده طبيعي اللّي ما بيتوترش وما بيخفش بيكون إنسان فاشل.

لاحظت ساره أن لينا تتمتع بحيوية زائدة في هذه الأيام وبفرحة تقرأ على ملامح

وجهها بعد أن اعترف لها حسن بحبه.

- أَخبريني كيف حال حسن؟! وكيف تسير الأمور بينكما؟!.

فوجئت لينا بالسؤال وتلعثمت، لم تكن تشعر مطلقاً بالإحراج من أي موضوع إلا من موضوع علاقتها بحسن.

- آه إحنا كويسين.

- والله إنتو كويسين؟! أعلم ذلك ولكن أخبريني تفاصيل هيا.

- بحبّه يا ساره بحبّه.

قالتها وعيناها تبرقان، حضنتها ساره وقالت لها:

- يا حبيبتي، لم أركِ فرحة هكذا من

قبل، الله يوفقك.

كانت لينا تعترف لأول مرّة بصوت مرتفع بحبها لحسن. لم تجرؤ حتى على إخباره ولكنها قرّرت أن تنتظر قليلًا.

* * *

- ألو ساره كيف حالك أميرتي.

- أهلًا حبيبي أنا بخير كيف حالك أنت؟!.

- بخير بخير، أردت فقط إعلامك بأن أهلي سوف يأتون لزيارتنا، اتصلت بي أمي وأخبرتني، أريدك أن تهتمي بهما إلى حين عودتي من فضلك أنا سوف أصل إلى بيروت غداً.

- لا تقلق حبيبي سوف أقوم بالواجب، نحن بانتظارك.. إلى اللقاء.

كانت الزيارة الأولى التي يقوم بها العم عزت والحاجّة دلال. إنه موسم صيف وقد انتهى الحصاد فقررا أن يقوما بزيارتهما بما أن ساره وعمر لم يتمكنا من المجيء بسبب عمل الأخير. لم تكن الحاجّة دلال ولا حتى الحاج عزت يعلمان بدراسة ساره، فعمر لم يخبرهما خوفاً من ردة فعلهما وكأنها ترتكب خطأً ما.

انصرفت ساره لإعداد الطعام، فسوف يصلان في أية لحظة. أعدت أطعمة شرقية ولبنانية جبلية لترحّب بهما، وأعدت أيضاً الحلويات. كانت ساره تحب الحاجّة دلال وتحترمها وكذلك العم عزت. إنها الرابعة،

اتصلت دلال بساره لتعلمها بوصولهما.

- ألو كيف حالك يا ابنتي، أنا وعمك عزت وصلنا ولكن لا ندري كيف نصل إلى منزلكما.

- أهلًا يا أمي، لا تقلقي قولي لي أين أنتما وسوف أحضر إليكما على الفور.

أصبحت ساره تعرف المناطق في بيروت تمام المعرفة بسبب ذهابها إلى الجامعة وإلى السوق وحدها، لم يكن ينقصها سوى أن تتعلم القيادة وتشتري سيارة كي توفّر عذاب التاكسي ومصروفها. ارتدت ساره ملابسها وتوجهت فوراً لإحضارهما بعد أن اتصلت بعمر لتعلمه بوصولهما.

* * *

حالة من التأمل تسيطر على لينا، كانت شديدة التفكير في حسن وفي علاقتها به. أفعلًا أحبته أم تعودت وجوده في حياتها؟ حتى هي كانت تستغرب الفكرة فقلبها لم يدقّ منذ زمن. أحبت لينا مرة واحدة في حياتها وكان ذلك حبّ مراهقة فهي لم تعرف طعم الحبّ الحقيقي البتّة ولكن من الواضح أنها تختبره وتعيشه بحذافيره مع حسن. لم تكن لينا، وعلى الرغم من حبها لحسن، تجرؤ أن تصارحه بحبها، كانت تقول إِنها تريد أن يبقى حبهما غريباً تماماً كتعارفهما. ولكن أحياناً كانت تمسك بنفسها عن البوح له بحقيقة مشاعرها... أرادت أن تتأكد أكثر مما تحسه حتى لا تندم لاحقاً. كان حسن أجرأ منها، فعلًا إنه جريء، لم يكتم




إحساسه بل اعترف للينا بحبه بكل عفوية وكأنه أراد أن يستفيد من كل دقيقة يمكن أن يكسبها وهو يمضيها إلى جانبها.

لاحظت لينا مدى انشغالها بالتفكير في حسن فقررت الامتناع عن هذا الإدمان حتى ولو لوقت بسيط، اتصلت بساره عسى أن تخرجا معاً للتسوق.

- ألو ساره، فينك؟! إيه رأيك لو ننزل السوق؟!.

- لينا، لا أستطيع أنا في طريقي إلى الـ«Down Town»، لقد وصل أهل عمر ويجب أن أحضرهم، سوف يمضون عندنا بضعة أيام.

- آه طيّب حشوف حاجة ثانية أعملها

انتبهي لنفسك....

- إلى اللقاء.

- آه ساره ما قولتيش إيه أخبار نتائج امتحاناتك.

نسيت ساره الموضوع كلياً ولم تتذكر أن اليوم سوف تُعلن النتائج، فانشغالها بمجيء الأهل أربكها.

- آه... لينا لقد نسيت الموضوع كلياً، أرجوك تحققي من الموضوع وعاودي الاتصال بي لتطمئنيني.

- طيب حبيبتي إن شاء الله خير، مع السلامة.

* * *

كان الطريق مزدحماً فلم تتمكن ساره من الوصول إلا بعد معاناة، كان الحاج والحاجّة بانتظارها.

اقتربت ساره وقبلت يد كل منهما، فهذه هي التقاليد التي تربت عليها.

- أهلًا وسهلًا بكم، نوّرتوا.

- أهلًا فيكي يا حبيبتي.

- كيف حالك يا عمي؟!.

- بخير يا ابنتي، اشتقت إليك وإلى عمر.

كان اللقاء يحمل في طياته كل الحنان والحب والودّ، فساره كانت محبوبة وكذلك الحاج والحاجّة كانا لطيفين يحبان الخير

للجميع.

- حسناً فلنذهب، لا بد أنكما متعبان.

انطلقوا إلى المنزل وعلامات التعب ظاهرة عليهما. ولكن علامة دهشة كانت أيضاً ترتسم على وجهيهما. كان عزت ودلال مندهشين من ساره، فهي تغيّرت كثيراً، لم تعد تلك الفتاة البسيطة، التي تظلّ ساكتة وخجولة معظم الوقت. أصبحت ساره طلقة، تعرف المدينة، لا بد أنها أخذت الكثير من عاداتها وصفاتها، فهذا ما يبدو لهما. كانت أم عمر تتساءل بينها وبين نفسها عن الأسباب التي غيّرت ساره من فتاة ريفية بسيطة إلى امرأة مفعمة بالحياة والحركة، لا بدّ أن للعاصمة تأثيراً كبيراً في كل من يعيش فيها.

* * *

- طبعاً كنت تنتظرين اتصالي!.

- يا االلللللله على غرورك يا أخي! لا واللّي بيستفزني إن كلامك صح.

ضحك حسن ضحكة لا تخلو من الثقة بالنفس.

- لا مش أدّ كده.. ما تتغرش كثير، كنت مستنية أي حد يكلّمني عشان قاعدة مش بعمل حاجة.

- حسناً أنا أقبل أن أكون «أي حدّ» ما دام هذا «الحدّ» سوف يدخل الابتسامة إلى قلبك.

كان حسن يتقن الكلام وهذه ميزته

التي شدّت لينا إليه، فرجل يتقن الكلام هو رجل يتقن الحياة.

ضحكت لينا وأجابته:

- بطّل بقى يا شيخ، إنت ما بتعرفش تغلط في الكلام ولو لمرّة وحدة.

- ومن قال إنني أتقن الكلام، فأنا معك أتجرد من كل ما أعرفه. لذلك اختاري أنت أين سنذهب الآن لنتناول العشاء.

كان الارتباك دوماً نتيجة لكلام حسن بالنسبة إلى لينا.

- يبقى أنا اللّي هاختار، طيب عايزة آكل سمك.

- سمك؟! فليكن! أعرف مطعماً رائعاً،




اجْهَزِي لأمرّ وآخذك.

- ماشي، بس اتأخر شوية عايزة أعدّي على ساره وأبشّرها إنها نجحت.

- آه فعلًا، باركي لها عني، إذاً بعد ساعة سأكون بانتظارك عند باب المدخل، لا تدعيني أنتظر فقلبي لن يتحمل كثيراً حتى وإن تحملت معدتي.

* * *

ها هي ساره قد وصلت برفقة الأهل. كانت المرة الأولى التي يملآن ببركاتهما المنزل.

- ما شاء الله، بارك الله بكم يا ابنتي.

- أهلًا بك يا أمي، بركاتك... تفضلوا




تفضلوا.

حنية ساره هي الوحيدة التي لم تستطع المدينة أن تغيرها ولا حتى ذلك القلب الأبيض، كانت ساره تتمتع برحابة صدر ومحبة كبرى تغمر بها كل من حولها.

دق الجرس.

- أتنتظرين أحداً يا ابنتي؟!.

لم تكن ساره تنتظر أحداً كعادتها ولكنها عرفت من الدقة أنها لينا، فلهذه الأخيرة دقة غريبة تماماً كشخصيتها.

ترددت ساره في فتح الباب فهي كانت متأكدة أن لينا ستخبرها عن الجامعة وهي لا تريد أن يعرف الحاج والحاجّة الخبر بهذه الطريقة ولكن لا سبيل إلى الهروب.

فتحت ساره الباب وقلبها يخفق.

- إيه يا بنتي ساعة عشان تفتحي الباب على العموم ألف ألف مبروك يا ستي أديكي نجحتي، خلاص سنتين وحتبقي أكبر صحافية في العالم إن شاء الله. فرحتلك من قلبي يا ساره.

علامات التعجب والصدمة والاستغراب كلّها ارتسمت على وجهَي الحاج والحاجّة. كان الخبر مفاجأة كبرى بالنسبة إليهما.

- شكراً لينا حبيبتي، تفضلي لكي أعرّفك بأهل عمر.

- آه أرجوكم أعذروني ما خدتش بالي من الفرحة... إزيك يا حاجّة وازيك يا حاج، نوّرتوا بيروت.




- تسلمي يا بنتي.

- أمي هذه لينا جارتنا وهي صديقتي الوحيدة هنا في بيروت.

- أهلًا فيكي يا ابنتي تفضّلي.

- شكراً يا حاجّة، معليش أنا مضطرة أمشي عندي حاجة ضرورية لازم أعملها، فرصة سعيدة، ومبروك مرة ثانية يا ساره.

- نحن أسعد، مع السلامة يا حبيبتي.

- شكراً جزيلًا لينا إلى اللقاء.

* * *

كان الخبر الذي نقلته لينا إلى ساره بمثابة قنبلة، فعلًا ذلك الخبر كان كقنبلة موقوتة معدّة للانفجار في أي وقت، وها هي

لينا تعلن وقت انفجارها.

صدمت دلال ولم تعرف ماذا تقول، استدركت ساره الموضوع وحاولت تلطيف الجوّ.

- أمّي هناك أمر يجب أن تعلما به، لم أكن أريد أن أخفي عنكما الموضوع ولكن عمر أصرّ، أنا تسجلت في الجامعة، إنني أدرس الصحافة وها أنا، والحمد لله، قد انتهيت من السنة الأولى، لم يتبق لي سوى سنتين وأتخرج.

كان من الواضح أن الحاجّة دلال لم تكن راضية عن الموضوع، وكذلك الحاج عزت، لم يقولا شيئاً ولكن ملامح وجهيهما كانت كافية للتعبير عن عدم رضاهما. تمكنت ساره من قراءة الغضب وعدم الرضى من

خلال وجهيهما وعيونهما. انزعجت وذهبت إلى المطبخ لتسكب الطعام ليأكلوا.

- ألو أميرتي كيف حالك وكيف أهلي؟!.

- نحن بخير عمر كيف حالك أنت؟!.

لاحظ عمر أن ساره منزعجة، فصوتها كان يغصّ بالدموع ولهجتها حزينة قاسية.

- ما بك ساره لست سعيدة!! ماذا جرى؟!.

- لا شيء عندما تأتي سوف نتكلم بكل شيء.

- حسناً أميرتي على الرغم من قلقي سوف أنتظر، أنا سوف أصل غداً عند الظهيرة إن شاء الله.

- إن شاء الله، إلى اللقاء.

* * *

- ما رأيك بالمكان وبالسمك؟!.

- رائع! حبيت الأكل أوي والمكان برضو تحفة.

ليس من الغريب أن كل ما يختاره حسن، ينال إعجاب لينا، فلحسن ذوق رفيع، يعرف ماذا يختار لتكون كل خطواته واختياراته موفقة ورائعة.

- أنت أحببت الأكل وأنا أحببتك، ما رأيك بهذه المصادفة؟! ماذا أفعل لينا قولي لي، إن حبّك يكبر داخلي يوماً بعد يوم، يكبر لدرجة أنني بدأت أتنفسه!.

احمرّت لينا خجلًا ولم تعرف ماذا تقول لحسن. أتعترف له بحبها أم تتهرب؟! كان قلبها يدقّ بسرعة وكأنه يقول لها، هيّ اعترفي له بحبك. بعد تردّد دام لدقائق اعترفت لينا لحسن.

- وأنا كمان بحبك، بحبك من أول يوم شفتك في، من أول لحظة، بس خايفة، افهمني يا حسن، أنا عمري ما حبيت وعمري ما كنت في علاقة مع حدّ وده مخوفني على الرغم من حبي ليك.

كاد حسن يطير من الفرحة، لم يتوقع أن تعترف له لينا بحبها، مع أنه كان يعلم أنها تحبه إلا أنه فوجىء.

- لا تخافي يا عمري لن أسمح لأحد أن يأخذك مني أو أن يؤذيكِ طالما أنا

موجود. آه لينا يا عمري كم أحبك!!.

* * *

عاد حسن ولينا إلى منزليهما وكأنهما ولدا من جديد. صدق جبران خليل جبران عندما قال: «الحب كالموت يغيّر كل شيء». فبعد أن كانت لينا تعيش حياة العزلة والوحدة، على الرغم من صداقاتها، دخل حياتها حب حسن ليغيّر نظرتها إلى الحياة، ليصرخ ويقول، الحياة تستحق أن نعيشها بفرح، وكذلك حسن الذي عاش ثلاثين عاماً وهو يعمل وينتظر المرأة التي سيكمل معها بقية حياته بعد أن كاد يفقد الأمل، فوجئ بحب لينا يطرق قلبه ليحمل معه الفرح وحب الحياة.

استلقت لينا فوق سريرها تحلم أحلاماً

وردية، تخطط لمستقبل ملؤه الورود والحب مع حسن، فجأة رنّ هاتفها، إنه حسن.

- حبيبي لحقت أوحشك ولا إيه؟!.

سألته لينا وهي تضحك.

- أنا أشتاق إليكِ كلما تنفست ولكن تذكرت قولًا لحسام قاسم أردت أن أقوله لك:

- اختصري الحب في عينيك كما اختصرت الجمال.. فقد أحببت نفسي كثيراً عندما أحببتك.

أحبك يا طفلتي، تصبحين على حبّ.

أقفلت لينا الهاتف وهي تسمع دقات قلبها ترقص ابتهاجاً بكلام حسن وبحبه وهمست بينها وبين نفسها:

- آه يا حسن، دوّبتني بحبك يا شيخ!.

وراحت بعدها في غيبوبة من الأحلام أولها فارس أبيض قد وصل توّاً، وآخرها حب وحب وحب.

* * *

استيقظت ساره، أعدت الطّعام، ونادت الحاجّة دلال والحاج عزت لتناول الفطور. كان الهدوء والصمت يسيطران على الجلسة. لم يشاءا أن يحدّثا ساره بالموضوع، إنّما جعلاها تشعر أنها مذنبة. لم تشأ هي أيضاً أن تقول شيئاً. قررت انتظار عمر ليكون الكلام بحضوره.

- أمي، لقد كلّمني عمر وسوف يصل عند الظهيرة إن شاء الله.

- جيّد، فقد آن له أن يعود.

كان جدال كبير بانتظار عمر، فهو على موعد مع مواجهة أهله من جهة وزوجته من جهة أخرى. سيكون موقفه صعباً جداً. لا يدري إلى أي فريق سينضم، ولكن بحسب حكمته عليه التفكير في ساره، إلا إذا اقتحم العقل الشرقي تفكيره وغيّر مجرى المنطق لديه. فكل شيء متوقع في مواقف كهذه، الحكيم يفقد حكمته والمجنون يصبح حكيماً، معادلة فاضحة ولكنها صحيحة جداً.

* * *

ها هو عمر قد وصل، لقاء حار جمع بينه وبين أهله، فقد مضى وقت طويل على آخر لقاء بينهم.

- يا حبيبي يا ابني لقد وحشتني كثيراً، دعني أتنشق رائحتك، دعني أتنفسك.

كانت دلال تغمره وهي تبكي، تبكي من فرحها وشوقها.

غريبة هي هذه الحياة، عندما نفارق أحدهم نبكي، عندما نرى أحبابنا بعد فراق نبكي، عندما ننجح نبكي، عندما نتزوج نبكي، عندما نطلّق نبكي... صار البكاء لغة تعبير مشتركة بين الفرح والحزن.

قبّل عمر يد الحاج عزت وأخذ البركة من والديه. لطالما احترم عمر والديه وقدّرهما ولا يزال حتى الآن. وعلى الرغم من كل ما وصل إليه، يرفع رأسه ويتباهى بهما أمام الجميع. يعتبر عمر أن دلال وعزت مصدر بركته ونجاحه في الحياة، فمن المستحيل أن

يغضبهما، حتى إنّه قبل الزواج بساره كي لا يغضبا عليه.

- كيف كانت سفرتك يا ابني؟!.

- الحمد لله يا أبي، كانت متعبة بعض الشيء ولكن مثمرة.

- الحمد لله.

جاءت ساره من المطبخ بمداخلتها:

- يبدو أن الجميع سعيد هنا، وكم أنا سعيدة بكم جميعاً.

قالتها والابتسامة لا تفارق وجهها.

- تفضلوا لقد أصبح الطعام جاهزاً.

الروائح زكية كالعادة، كانت ساره

طباخة ماهرة، لا بد أنها إنسانة ناجحة، فكلّ ما تفعله تتقنه. لا تحتاج فقط إلا إلى من يقدّرها كي تشعر بقيمتها.

* * *

كان الجميع صامتين أثناء الغداء فقررت ساره أن تبادر هي بفتح موضوع دراستها، «أولتا عاَخرتا بدو ينفتح». هكذا تمتمت ساره قبل أن تباشر بالكلام.

- أمي، أبي وعمر، أريد أن أحادثكم بموضوع دراستي، أرجوكم أن تفهموني. لا أريد لأحد أن يقاطعني، دعوني أشرح موقفي ومن بعدها لكم الحق بالتعبير عن رأيكم.

لم يكن عمر يريد أن تتكلم ساره

بالموضوع أمام أهله، صدم بمعرفتهم ولكنه أحسّ أنهم علموا بالموضوع قبل قدومه.

- أنا إنسانة ريفية، صحيح أنني أنهيت دراستي وعدت إلى المنزل في الضيعة، وكنت شبه منعزلة عن العالم بسبب الظروف القروية التي نعرفها جميعاً، ولكن لست بالجاهلة. لا طالما أحببت المعرفة، كنت أقرأ الكتب والجرائد، كنت أحاول كسب المعرفة من كل مكان، لم أعرف يوماً الاستسلام ولكن نصيبي أنني ولدت في الريف. لا أريد أن أنكر أصلي، ولست أتحسّر على ذلك أيضاً، ولكن كل إنسان في الحياة لديه فرصة تأتيه لمرة واحدة وإن لم يستفد منها يضيّع فرصة عمره.

كان الجميع يتأملون ساره ويصغون

إليها بتمعّن وكأنها إنسانة غريبة، لم يعرفوها من قبل.

- كل إنسان لديه فرصة عمره وبالنسبة إلي هذه هي فرصة عمري. شاء القدر أن آتي لأسكن في العاصمة، وكل السبل متوافرة لديّ لأكمل دراستي. أعرف تماماً أن لا أحد يستطيع أن يغيّر ماضيه ولكن... كلنا نستطيع صنع مستقبلنا، أريد أن أتخرج وأعمل وأن تكون لي شخصية عملية بالإضافة إلى كوني سيدة منزل وامرأة متزوجة. باعتقادي ليس هناك من مانع يردعني عن تحقيق هذا الحلم طالما كل السبل متوافرة. هذا هو رأيي في الموضوع ولكم رأيكم. وعليكم أن تعلموا أنّني جدّ متمسِّكة برأيي هذا وموقفي لن أبدّله أبداً مع احترامي لكم جميعاً.




فاجأت ساره كلًا من دلال وعزت وعمر كما فوجئت بنفسها، لا بد أن السنة الأولى من دراستها وتفاعلها مع المجتمع أكسباها نضجاً ومكناها من تكوين رأيها الخاص وتقوية عزيمتها على ما تريده.

* * *

ارتبك الجميع ولم يعرفوا بما يجيبون، فاستدرك عمر الموقف ليعبّر عن رأيه ورأي أهله، الذي يعرفه مسبقاً قائلًا:

- ساره أنت تعرفين جيداً أننا ناقشنا موضوع دراستك وأنا لم أكن راضياً. جاملتك فقط في البداية ولكن لأن الأمور تتطور يجب وضع حدّ لكل شيء.

كان عمر يتكلم وشيء ما في داخله

يخبره أنه على خطأ، وأن ما تفعله ساره هو الصواب ولكن كان لرجولته وشرقيته وأهله التأثير الأكبر في كلامه.

لم تكن ساره لتستسلم بعد أن بدأت بمشروعها وبكل ثقة ردّت على عمر بنبرة تعتمدها لأول مرّة:

- عمر هذا قراري ولن أتراجع عنه لأحد حتى وإن كان من أجلك أنت، نعم حتى ولو كان من أجلك أنت!!!.

واجهت ساره عمر وقلبها يصرخ بعذابه، فحبها لعمر لم يتغير ولكنها قررت سماع صوت العقل والمنطق علّها تنتصر ولو لمرة واحدة. دلال وعزت لايزالان على موقفهما،.. الصمت! لم يشاءا التدخل بين عمر وزوجته مع العلم بعدم موافقتهما على

ما تفعله وتقوله ساره.

انتظر عزت حتى هدأ الوضع، وأخبر عمر أنهما سيعودان إلى الضيعة ريثما تهدأ الأمور. طلب من عمر أن يتحلّى بالصبر والحكمة التي طالما كانت من شيمه.

* * *

كان الوضع مختلفاً تماماً بين لينا وحسن، طَيْرَيِ الحبّ! كان كل منهما يغرّد فرحاً لقد تطوّرت علاقتهما وقرّرا أن يرتبطا رسمياً.

- حبيبتي أريدك بجانبي، لم أعد أحتمل الانتظار، أحبك لينا، أحبك وأريد أن يكون لنا بيت يجمعنا أنا وأنت، أريدك بالحلال.

فرحة لينا بطلب حسن كانت عارمة، لو كان بإمكانها أن تطير لكانت حلّقت بين النجوم، كانت تريد أن تخبر العالم بأسره بأنها ستتزوج. وأخيراً ستصبح «مدام لينا ميمون» بدلًا من «الآنسة لينا قاضي» وستتخلص من أسئلة الناس المحرجة. وأخيراً ستلبس محبساً ولن تضطر إلى تخبئة شيء، وأخيراً ستتزوج!

ربما شاء القدر أن ترفض لينا كل من تقدم لها من قبل كي تسمح لحسن أن يفجّر بركان الحب المختبئ في قلبها.

بدآ بالاستعدادات للخطبة فوراً، فكل منهما كان على عجلة. قررا أن يقيما الخطبة خلال الصيف وأن يعقدا قرانهما بعد سنة ونصف عندما يعود حسن من «New

York» وينهي مشروعَيْن مهمَّين كان قد وقّعقديهما.

سنة ونصف السنة مدة طويلة، ولكن حسن ولينا سينتظران، سينتظران على أمل أن يجتمعا في النهاية.

* * *

الأمور لاتزال متوترة بين عمر وساره وقد بلغت ذروتها عندما أخبر عمر ساره بأنه ينوي الانفصال عنها إن لم تتراجع عن قرارها. تعذبت ساره وحزنت حزناً شديداً موجعاً بسبب قرار عمر، ولكن، نعم ولكن، وضعت ساره حبها جانباً وقرّرت الاستغناء عن كل شيء وحتى عن رفيق دربها كي تحقق حلمها. ردّت ساره على عمر بكل برودة وقلبها يغلي:

«عمر، تأكد أنني أحبك ولكن لن أبقى تلك المرأة التي يؤكل حقها وتسكت. قال جبران خليل جبران: «هكذا تفرقنا الحياة لتذهب بك إلى أمجاد الرجل وتسير بي إلى واجبات المرأة». وأنا أقول لك، هكذا تفرقنا الحياة لتذهب بك إلى ظلمك كرجل، وإلى قوتي وعزمي كامرأة. لن أستسلم عمر، لن أستسلم، فقد آن الأوان ليسمع صوتي الجميع، آن الأوان لأن تصرخ امرأة وتلفت انتباه المجتمع أنها مظلومة حتى ولو كان على حساب حياتها الزوجية، ولقد شاء القدر أن أكون أنا هي تلك المرأة... إن كنت تريد أن ننفصل أنا جاهزة فلم أعتد يوماً أن يطعنني أحد بكرامتي، ولا أن أقمع، وتأكد أنه حين يأتي ذلك اليوم سوف أكون تحت التراب. طلقني عمر، طلقني إن كان الطلاق

سيحافظ على رجولتك وكرامتك، طلّقني إن كان الطلاق ضمانة لعرضك ولكرامتك التي تعتبر أنني أقضي عليهما بدراستي وعملي. طلقني عمر طلقنيييييييييي، طلقني لترتاح وأرتاح!!!

* * *

- ساره باركيلي يا ساره حاتجوز، حاتجوز يا ساره، حسن طلب إيدي، أنا مش مصدقة نفسي.

لم تكن ساره على تفاعل مع فرحة لينا، ففي حين كانت حياتها الزوجيّة تدمّر، ها هي لينا تبدأ توّاً بناء حياتها العاطفية.

لاحظت لينا الموضوع ففهمت وسألت ساره:

- ساره حبيبتي فيكي إيه؟! إنت كويسة، حصل إيه، شكلك تعبانة وحزينة أوي.

لم تتمكن ساره من الكلام، لم تنطق سوى بكلمة واحدة:

- طلقني!.

صُدِمَتْ لينا ولم تتمكن من النطق بكلمة واحدة. وحدها لينا كانت تعرف كم كانت ساره تحب عمر وتتعلق به. وحدها لينا كانت تعرف أن ساره مستعدة للموت من أجل عمر. ولكن القدر لا يعرف شيئاً!!

بعد انحلال الصدمة شرحت ساره للينا كل ما حدث معها، فشجَّعتها هذه الأخيرة على موقفها حتى وإن كان على حساب

حبّها.

- ما تخافيش يا حبيبتي أنا معاك للنهاية، وما تزعّليش نفسك اللّي عملتي هو الصح، وبكرا تشوفي حيرجع وهو ندمان على كل اللي عملو معاك لما يعرف قيمتك.

كانت ساره تسمع كلام لينا، تسمع كلاماً وجملًا ولكن لم تكن تفهم، لم تكن تصغي إليها. ندم، حيرة، حزن، فرح، عذاب... كل تلك الأحاسيس وأكثر كانت تختلج في قلبها وروحها ولم تكن تعرف أية حالة تعتريها في هذا الوقت.

* * *

أيام مضت وساره لم تفارق سريرها. كان الحزن يقتل كل قطعة من قلبها. عاشت

حبّها.

- ما تخافيش يا حبيبتي أنا معاك للنهاية، وما تزعّليش نفسك اللّي عملتي هو الصح، وبكرا تشوفي حيرجع وهو ندمان على كل اللي عملو معاك لما يعرف قيمتك.

كانت ساره تسمع كلام لينا، تسمع كلاماً وجملًا ولكن لم تكن تفهم، لم تكن تصغي إليها. ندم، حيرة، حزن، فرح، عذاب... كل تلك الأحاسيس وأكثر كانت تختلج في قلبها وروحها ولم تكن تعرف أية حالة تعتريها في هذا الوقت.

* * *

أيام مضت وساره لم تفارق سريرها. كان الحزن يقتل كل قطعة من قلبها. عاشت

أيّاماً عصيبة لم يفارق فيها الدمع وجهها. وكأنها كانت تريد أن تصرخ وصوتها لا يساعدها، أن تصرخ مستعينة بكلمات الأستاذ محمود درويش لتقول لذاك القاضي الحكيم: «وكن حكيماً حين تجرحني وتبزغ من شراييني الورود». جرحها عمر، دمّرها، قضى على كل أحلامها التي حلمت بها إلى جانبه، كانت تخطط لمستقبل رائع، كانت تعمل على أن يحبها وعلى أن ينجبا عدة أولادٍ، تكون أمهم صحافية، ووالدهم قاضياً ليفتخروا بهما. كانت تحلم بأن تبني عائلة روابطها الحب وأساسها الاحترام وغذاؤهما التفاهم. ولكن رياح الجهل هبّت لتدمر كل تلك الأحلام الوردية.

من خان قلباً كان ينبض بحبه وتركه، فقد خان الأمانة.

«ليس ثمة شرقي إلا وفيه شيء من الخيانة». محمد الماغوط.

* * *

كانت لينا منهمكة بالتجهيز لخطبتها. لن تكون خطبة كبيرة، ستقتصر فقط على الأصدقاء والأهل في صالة فندق فخم اختارته وحسن. أحبّت لينا أن يكون شقيقها سامي موجوداً في هذا اليوم ولكنّه كان منشغلًا فوعدها أن يكون حاضراً يوم زفافها غصّ قلب لينا بالحزن، فلم يتبق لها من الأه سوى شقيقها سامي وهو أيضاً تعذّر عليه المجيء، ولكن وجود حسن بجانبها كان بمثابة دعم كبير لها وتعويض عن كل غائب، كانت لينا ترى العالم من خلال عينَيْه.

- ساره إنت لازم تيجي خطوبتي، والله

حازعل لو ما جيتيش، خلاص هو أنت حتفضلي عايشة حالة الانهيار دي كثير أوي، ما فيش حاجة تستاهل، الخطوبة بكرا يا ساره وعايزاك تيجي من الصبح معاي تساعديني أنا ما ليش غيرك.

- إن شاء الله خير حبيبتي، عقبال الفرحة الكبيرة يا لينا، أنت تستحقين كل خير في هذه الدنيا.

قرّرت ساره التغلب على كل الحزن الذي أصابها وعلى كل الجروح التي سببها لها عمر.

تسلّحت بقول لـ«تشاك بور نيك»: «كلما كان سقوطك أكبر، كان تحليقك أعلى». استمدت قوتها من خلال هذا القول وقررت أن تواجه كل المصاعب التي

ستعترض طريقها من اليوم وصاعداً.

* * *

بدت لينا في غاية الجمال في يوم خطبتها وكذلك ساره تجمّلت وهيّأت نفسها لهذا اليوم. كان التوتر واضحاً على لينا، على الرغم من سنّها، كانت قلقة من هذا اليوم، فالخجل والتوتر لا يعرفان سنّاً ولا شخصاً.

أطلّ حسن ببذلته السوداء مع الـ «Papillon» حول عنقه، كان وسيماً جداً، وسيماً لدرجة أن جماله كاد ينطق، وشعره الأسود الممزوج بالأبيض كان يزيد من هيبته وجماله.

دخل إلى غرفة لينا واندهش برؤية ملكة

بفستان أحمر خمري مشكوك بالورود مع شعر «Wavy» يتدلّى على كتفيها. زادهما اللّون الأحمر أنوثة.

- العالم بأسره سوف يحسدني عليك في هذا المساء يا أميرة قلبي.

احمرت لينا خجلًا وكعادتها ردّت على كلامه الجميل بمثله ولكن لم تكن قط لتتفوق عليه.

* * *

دخل العروسان إلى الصالة، كان الاحتفال بسيطاً ولكن كان عنواناً للرومانسية والكلاسيكية، فهذا هو طبع كل من حسن ولينا وخطبتهما تجسدهما تماماً.

أطلت ساره بفستانها الذهبي

الـ«Paillette» القصير مع شعرها المرفوع ليبرز شكل الفستان عن ظهره، فلفتت جميع الأنظار وهي لم يلفت نظرها سوى شخص واحد، «عمر عبد القادر».

نعم كان عمر موجوداً، فهو صديق حسن وكان يجلس إلى طاولة ساره نفسها. اقتربت من الطاولة وقلبها يرجف كأنها تراه للمرة الأولى في حياتها. كانت المرة الأولى ولكن بعد غيبة شهرين، اكتشفت حينها أنها لاتزال تحبه وأن قلبها قد خذلها ولم يَنْسه للحظة. كان سلامهما كسلام الغرباء، وكأنهما لم يتقاسما الحياة يوماً. غريب هو الحبّ حين يموت يأخذ معه كل شيء جميل: حتى تلك الذكريات تصبح ألماً في قلوب الأحباء. كان كل من لينا وحسن يطير من الفرحة، يرقصان ويغنيان كالمراهقين، وفي

تلك الأثناء كانت ساره تختلس نظرة تلو الأخرى إلى عمر، لاتزال رصانته وشخصيته تجذبانها ولاتزال عيناه تشعَّان نوراً وحياة يشدّانها إليه على الرغم من كل محاولاتها للهرب، فكل الطرق كانت تقودها إلى عينيه وتصبّ في بحرَيْهما.

* * *

انتهت الاحتفالات وعاد كل منهم إلى عمله. ولكن هذه المرة كان كل واحد منهم يحمل معه مشاعر وتجارب مختلفة عن السابق.

سافر حسن ليستلم مشروعه وهو مليء بالحب والفرح، يحمل صورة لينا في قلبه وعقله. وكذلك عمر سافر إلى فرنسا ليكمل حياته المهنية ولكن بحال مختلف تماماً عن





حسن. كان محبطاً، حزيناً، متألّماً جراء التطورات التي دمّرت حياته.

أما لينا فهي أيضاً عادت إلى عملها ولكن بحلّة جديدة، عادت وبيدها خاتم يلمع، خاتم كإشارة إلى بدء حياة جديدة والتخطيط لمستقبل أجمل. أما حال ساره فكان حال أي امرأة تخسر زوجها، حزينة، كئيبة والأيام المريرة تنحر كل جزء من حياتها، ولكن دراستها وعزمها على أن تثبت للعالم بأسره أنها ستنجح، وأن المرأة بإمكانها الوصول إلى القمم، كانا يخففان عنها حدة الموقف.

«أنت لا ترى سوى ظلّك وأنت تدير ظهرك للشمس» استعادت قول جبران خليل جبران المأثور، وعلى أساسه بدأ كل من

حسن ولينا وعمر وساره يلتفت إلى حياته من جديد.

* * *

أيام مضت، بل عام ونصف العام مرّا حاملين معهما الكثير من التطورات بالنسبة إلى ساره خصوصاً، وإلى البقية بشكل عامّ.

انتهت ساره من سنتها الثانية في الجامعة، وها هي تشرف على التخرج مع بداية سنتها الثالثة. كانت متفوقة في مجالها. بهرت العديد من الأساتذة بمقالاتها التي كانت تطلب منها في الجامعة كما أنها تدرّجت في جريدة مهمة في بيروت، ما كان يبشّر أن لها مستقبلًا مزهراً. تمكنت سار من الانتصار على حزنها، لم تنسَ عمر يوم

ولكن تبدلت الأولويات في حياتها، فعمر لم يعد أول اهتماماتها في الحياة، ركّزت خلال الفترة التي مرت على حياتها الدراسية والمهنية ونجحت في ذلك.

وبالنسبة إلى الأشواق فكان لها دور كبير بين حسن ولينا، فبعد المسافة جعلهما يدركان أن حبهما كبير، عمل كل منهما بكدّ للزواج. أشرف حسن على إنهاء مشروعه ولم يبق سوى أسابيع لعودته. كانت لينا تستفيد من الأيام القليلة المتبقية لوضع اللمسات الأخيرة على كل تجهيزات الزفاف. أرادت أن يصل حسن ليرى كل شيء جاهزاً، عليه فقط أن يبدي رأيه إن أراد تعديل أي تفصيل.

أما عمر وعلى الرغم من سفره وأمله

في أن ينسى، إلا أنه اكتشف خلال بعده عن ساره أن حبها مزروع في قلبه، ولكن لم يشعر به إلا بعد أن ابتعد عنها. تعذب كثيراً جَرَّاءَ كل ما سبّبه لها من ألم وعذاب، لم يمرّ يومٌ إلا وكان يلوم نفسه على كل خطأ اقترفه بحقّها.

غريب هو الوقت، باستطاعته إعمار حياة شخص وتدمير حياة آخر.

* * *

شوق وحب ولهفة، جميعها تفجرت عند لقاء لينا وحسن بعد غيبة سنة ونصف السنة. كانت الدموع ترقص كعلامات فرح.

- حبيبتي كم اشتقت إليك وإلى عطرك وإلى كل شيء فيك!.

- أبو علي!! انت اللّي وحشتيني، اعمل حسابك من هنا ورايح مش حسيبك تبعد عني ولو لثانية واحدة.

ضحك وأجابها فوراً وبعفوية:

- أنا اللي مش حا قدر أسيبك أبداً يا عمري.

توجها مباشرةً من المطار إلى شقتهما، أجرت لينا جميع التعديلات على المنزل وصمَّمت أن تنهي كل شيء لتفاجئ حسن وقد نجحت. فقد انبهر بكل التغييرات التي أجرتها لينا على المنزل.

- يا عمري لا بدّ أنك تعبت، المنزل يبدو رائعاً، يسعدني حقاً أن أعيش معك فيه إلى آخر يوم من عمري.

- هو إنت لسه شفت حاجة، خش استريح شوية على ما حضرلك الغداء وبعديها حاحكيلك عن كل التحضيرات اللي عملتها لزواجنا.

كان حسن يعشق حيوية لينا، يعشق روحها التي تفيض سعادةً وفرحاً. لقد كان فخوراً بها وبحسنِ تدبيرها لجميع الأمور.

* * *

في حين كانت لينا منهمكة في وضع اللمسات الأخيرة على استعدادات الزفاف، كانت ساره متوترة تحضر لمقال التخرج الذي ستلقيه أمام جميع الحضور لكونها تمثّل زملاءَها في الصحافة. اختارت ساره موضوعاً عن حقوق المرأة لتعالجه، لاتزال تجربتها مع عمر وأهله تؤثّر فيها حتى الآن،

وانطلاقاً من هذه التجربة استوحت موضوعها. بدأت مقالها بأقوال للعديد من الأدباء كسقراط، بتي سميث، فرنسوا مورياك و«Abraham Lincolin»... وقالت:

«I am a slow walker, but I ne-ver walk back».

لتضيف إلى هذا القول: انظر إلى كل شيء كأنك تراه لأول مرة أو لآخر مرة. ولم تَنْسَ ساره قول سقراط المشهور الذي استأثر باهتمامها: وقف رجل وسيم المنظر وأنيق الهندام أمام سقراط... يتبختر ويتباهى بلباسه ويفاخر بمنظره... فقال له سقراط «تكلم حتى أراك...». اختارت جميع تلك الأقاويل لتمهد لرسالتها التي تريد للجميع

أن يفهمها وهي أن من حق كل إنسان أن يتعلم ليبني لنفسه هوية حتى وإن كان هذا الإنسان امرأة، أوليست المرأة من فصيلة البشر؟! وأضافت أيضاً قولَيْن لتظهر حد المرأة للرجل وخيبتها به: «أحببت من أجله من كان يشبهه وكل شيء لدى المعشوق معشوق ولكن نسيت أن أفضل ما يمكن توقعه من الرجال هو النسيان». ناقشت في مقالها حقوق الإنسان عموماً وحقوق المرأة خصوصاً، لم تدرس ساره القانون ولكنها عمدت إلى الاطلاع على تلك القوانين التي «تحمي المرأة في مجتمع ذكوري». كانت كلماتها تحمل الكثير من العتب على كل من يتهجم على المرأة ويحرمها من أبسط حقوقها في التعلم، كانت جملها كستائر مبطنة لفضائح المجتمع وجرائمه بحق ذلك الكائن

الضعيف «المرأة».

عمدت ساره إلى استعمال الكلام اللاذع «كالمجتمع الذكوري»، «غابة الأسود»، «القطة والفأر»، وغيرها الكثير لتبيّن لكل من سيسمعها أو سيقرأها أنها عانت هذا الظلم ولا تريد لفتاة أخرى أن تعيش التجربة نفسها.

* * *

People are capable at any time of their lives, of doing what .they dream of

.(Paulo Coehlo)

حققت ساره حلمها وها هي تقف على منصة التخرج تتسلم شهادتها بكل فخر

بنفسها وبما حققته، لم يحضر أحد من أهلها، فأمها مريضة ووالدها يعمل طوال الوقت، حتى إنها لم تخبرهما، ستعلمهما لاحقاً أنها تخرجت. كانت هناك لينا وإلى جانبها حسن يقدمان كل الدعم لها، ويساندانها بكل خطوة تقوم بها في حياتها.

برهنت لينا خلال السنوات التي مضت أنها خير صديق، وقفت إلى جانب ساره وشجعتها في أدق المواقف وأصعبها ولم تتخلَّ عنها على الرغم من ابتعاد الجميع عنها ولاسيَّما «عمر». لا بدّ أن سر نجاح ساره يعتمد بجزء منه على دعم لينا لها ومساندتها.

تسلمت ساره شهادتها وسط تصفيق حار، وهي تسترجع شريط الذكريات التي

مرّت بها في مشوارها الدراسي من إصرارها على الموضوع وصولًا إلى خلافاته مع عمر وطلاقهما، ومن بعدها اجتهادها وقوة عزمها اللّذان اعتمدت عليهما لتصل إلى ما هي عليه الآن.

وها هي الآن تلقي مقالها الذي أعدته أمام جميع الحضور، تلقيه وقلبها يرقص خوفاً وفرحاً، خائفة لأنها تجربتها الأولى في الإلقاء أمام هذا الحشد الكبير وهذه الشخصيات المهمة، ولكنها كانت فرحة أيضاً، لسببين، الأول أنها نجحت وتمكنت من تحقيق حلمها، وها هي تحوز المراتب الأولى. أما السبب الثاني فهو أنها بدأت بقضيتها في حرم هذه الجامعة، بدأت توصل رسالتها من الآن، هذه الرسالة التي ستكون هدفها من اليوم وصاعداً حتى يعي

العالم بأسره أن المرأة هي نصف المجتمع، وأن احترامها واحترام حقوقها واجبان على الجميع.

* * *

حان الوقت للينا وحسن أن يفرحا، لم يتبقَّ الكثير لموعد زفافهما.

كانت الساعة الثامنة مساءً عندما انتهت لينا من توزيع بطاقات الدعوة على زملائها في العمل وبعض المعارف، وها هي في طريق العودة إلى المنزل كالعادة فرحة بكل تلك التفاصيل التي تمهّد لزفافها. فجأة وقبل وصولها إلى المنزل بدقائق اعترض طريقها شابان، لم تستطع لينا الهرب، ولا حتى طلب النجدة! لقد كبّلا يدَيْها وأغلقا فمها بمنديل مشدود.

للأسف اعتديا عليها بكل حقارة!!!
حاولت لينا مقاومتهما ولكنها لم تستطع، لم تتمكن من ردعهما.. اعتديا عليها، اغتصباها كالوحوش، افترساها تماماً كأي حيوان في البرية. دمّر الحقيران حياتها، سرقا منها فرحتها! وبعدها ألقيا بها أرضاً وهربا.

بقيت لينا مرمية أرضاً فاقدة الوعي، ثيابها ممزقة وعلامات الجريمة ظاهرة عليها.

لم يكتشف أحد ما جرى إلا بعد مضي ساعات على وقوع الحادثة. رضوان أحد سكان الشارع كان مارّاً من هناك ليفاجأ بلينا في حالة يرثى لها. حاول حسن الاتصال بها مراراً وتكراراً ولكن بلا جدوى. كيف لها أن تجيب وهي مغلوبةٌ على أمرها، غارقة في عالم آخر.

اتصل رضوان بالإسعاف ونقلَت إلى المستشفى فوراً. كان رضوان على معرفة بلينا، وكانت قد دعته وزوجته إلى زفافها، أخذ هاتفها الجوال واتصل بحسن كونه آخر من اتصل بها وكان رضوان يعرف من لينا أن اسم خطيبها هو حسن.

- سيّد حسن مساء الخير، أنا رضوان، جار لينا، أسكن في المبنى المقابل لها.

استغرب حسن اتصال رضوان من هاتف لينا خصوصاً وأنها لم تكن تجيب على مكالماته.

- أهلًا أستاذ رضوان، لقد أخفتني أين لينا؟!! أحاول الاتصال بها منذ ساعات ولا تجيب!.

اضطرب رضوان ولم يعرف ما عليه قوله لحسن.

- بصراحة، الآنسة لينا تعرضت لحادث وهي في المستشفى الآن، رأيت أنه عليّ إخبارك كي تكون إلى جانبها.

- ماذا تقول..؟! أعطني العنوان فوراً لو سمحت!.

* * *

كان حسن يقود سيارته كالمجنون، فكل الأفكار السوداء كانت تطرق فكره ولكن لم يخطر له قطّ أن تكون لينا قد تعرضت للاغتصاب.

كانت لينا في حالةٍ يرثى لها، لقد عنّفاها كثيراً، اعتديا عليها بلا شفقة وبلا

ضمير. فليس هناك من إنسان قادر على ارتكاب جريمة كهذه إلا إذا كان بلا ضمير ومن دون قلب أو إحساس.

أَما حالتها النفسية فستكون أسوأ بكثير عندما تصحو من غفوتها، لقد أعطاها الطبيب المشرف على وضعها إبرة مهدئة نامت في إثرها كي ترتاح.

وصل حسن وهرع فوراً ليسأل عنها، التقى طبيبها وسأله عن حالتها:

- دكتور أنا حسن خطيب لينا، أرجوك قل لي كيف حالها وماذا جرى؟.

كان حسن خائفاً عليها لدرجة لم يتمالك معها أعصابه.

- أرجوك أن تهدأ أستاذ حسن، لينا

متعبة جداً وبحاجة إلى الراحة، سوف أكون صريحاً معك، ففي مواقف كهذه لا داعي لتبطين الحقيقة! مع الأسف خطيبتك تعرضت للاغتصاب! تم الاعتداء عليها!!!

اصفرّ حسن جرّاء سماعه للخبر، لم يتحمل الصدمة، عيناه المفتوحتان تجمّدت فيهما الدموع، واختنق صوته. لم يملك وسيلة للتعبير. حاول الدكتور إخراجه من صدمته:

- يمكنك أن تراها إن شئت، هي نائمة الآن، ولكن إن استيقظت ورأتك بجانبها سيكون وضعها أفضل فهي بحاجة إلى الشعور بالأمان والحب في هذه الفترة كي تتخطى محنتها.

ولكن حسن لم يشأ رؤيتها، لم يكن باستطاعته أن يحدّق في عينيها أو حتى أن

يكلمها. فضّل الرحيل والهرب ممّا جرى. لم يتحمل الكارثة وكان الهروب هو خياره الوحيد للأسف!!

* * *

- ألو، مدام ساره، أنا رضوان جار لينا، لو سمحت هل تستطيعين المجيء إلى المستشفى، تعرضت الآنسة لينا لحادث ولا يوجد أحد بجانبها.

- ماذا؟! ماذا تقول أستاذ رضوان؟! ماذا جرى لها؟! أهي بخير؟! هل تأذت؟! كيف وقع الحادث...؟!.

أسئلة ساره المتتالية كانت أكبر دليل على خوفها على لينا، وعلامة على صدمتها مما جرى. أقفلت الخط، وبسبب توترها لم

تبدّل ملابسها، خرجت بسرعة، أوقفت تاكسي وطلبت منه التوجه فوراً إلى المستشفى.

وصلت ساره إلى المستشفى، سألت عن لينا فأخبرها الدكتور أحمد بالجريمة التي تعرضت لها لينا.

فور سماعها الخبر انهارت ساره، شعرت بحزن شديد يملأُ قلبها وبالاشمئزاز من هذا الواقع المرير.

- أرجوك دكتور أريد رؤيتها يجب أن أكون بجانبها.

- طبعاً ولكن هدّئي من روعك، فعلاً يجب أن تكوني بجانبها خصوصاً بعد رحيل خطيبها وتبرُّئِه من مسؤولية حمايتها.

صُدِمَت ساره بكلام الدكتور أحمد ولم تصدق أن حسن ترك لينا في مثل هذا الموقف.

- ماذا قلت دكتور؟ أتعني أن حسن كان هنا وعلم بما جرى، وعلى الرغم من ذلك تركها ورحل؟!.

- نعم للأسف، لقد برهن عن ضعف وقلّة رجولة بتصرفه هذا.

ازداد شعور ساره بالاشمئزاز و«القرف» بعدما سمعت الدكتور أحمد يخبرها بتصرف حسن اللاأخلاقي وبردة فعله اللامنطقية. ولكن في الوقت الراهن صحة لينا ووضعها هما أهم الآن بالنسبة إلى ساره من تصرفات حسن السخيفة!

* * *

مرّت الليلة ولم تستيقظ لينا، لقد أعطوها الكثير من المهدئات بسبب الحالة «الهستيرية» التي كانت عليها. هي بحاجة إلى الراحة، والنوم هو أفضل سبيل لنسيان الواقع المرير.

أمضت ساره اللّيلة بجانبها، كانت تفكر في وضع لينا وما جرى معها، بزفافها، بتصرف حسن، بأولئك الوحوش وجريمتهم التي لا تغتفر وبحالة لينا عندما تستيقظ!!! وأفكار كثيرة أخرى كانت تطرق باب أفكارها.

أشرقت شمس نهار جديد، سيكون متعباً للجميع وخصوصاً لينا. عندما استيقظت وراحت تسترجع ذاكرتها، لتقف

عند الحادث الذي تعرضت له، وفجأة راحت تصرخ وانهارت تماماً. حاولت ساره تهدئتها ولكن دون جدوى، نادت الممرضات لإعطائِها مهدِّئاً.

كانت لينا تصرخ، تبكي، تعاتب، تهاجم، ترتجف، كل تلك الانفعالات كانت تعبّر عن مشاعرها التي أحبطت قلبها وروحها. كيف يمكن لفتاة على وشك أن تتزوج أن تتعرض لحادث كهذا وأن لا تفقد صوابها؟! لقد سرقا منها فرحة عمرها، لقد أخذا منها أغلى ما تملك.

كانت لينا تهذي باسم حسن طوال الوقت. حاولت ساره الاتصال به فكان جوابه بكل بساطة:

- أرجوك ساره، ليس بوسعي أن أتحمل

وضعاً كهذا، الأفضل أن أبتعد، سوف أعود إلى دبي وإلى حياة الوحدة السابقة. من الواضح أن حظي في الحياة قليل! انتبهي إلى لينا!.

جواب حسن كان أكبر دليل على الجبن، وقلّة الرجولة. كيف يمكن لإنسان متعلم، مثقف مثله أن يتصرف بهذه الطريقة الرجعية؟! كيف استطاع التخلي عن لينا واعتبارها مجرمة؟! كيف استطاع تبرئة المجرمين والحكم على لينا الضحية بذاك الذنب الرهيب؟! ولكن للأسف في مجتمعنا، وفي أغلب الأحيان تتحول الضحية إلى مجرمة وخصوصاً إذا كانت امرأة، فكيف في مثل هذه الحالة؟! وكأنه كان باستطاعة تلك المسكينة المقاومة أو ردع هؤلاء الوحوش عنها ولم تفعل!!

عجباً لتلك الرجولة التي تسقط أمام أول امتحان للأخلاق والشرف!!

* * *

يوماً بعد يوم، كانت لينا تهدأ أكثر فأكثر، ولكن في مثل وضعها الهدوء ليس علامة جيدة، فهذا الهدوء دليل على بركان سوف يتفجر ليولّد كلمات لو نطقت بها لكانت حطّمت قلوباً.

- لينا حبيبتي سوف أنهي بعض الإجراءات الروتينية لنخرج ونعود إلى المنزل. افرحي سوف تتخلصين من المستشفى، أعرف أنك لا تتحمَّلين المكوث فيها.

لم تترك ساره لينا وحدها قط، كانت بجانبها طوال الوقت، فلينا هي صديقتها

الوحيدة وسندها الوحيد في الحياة، وقد حان الوقت لتردّ ساره لها كل معروف قامت به تجاهها.

اكتفت لينا بتحريك رأسها للإجابة على ساره. لم تكن ترغب في الكلام ولا في أي شيء آخر. شعورها بالألم قضى على كل أحاسيسها. حتى حسن الذي كانت تنتظر أن تلمحه يدخل من باب الغرفة ليركض ويضمها لم يأتِ.

كانت تعرف بدون أن تقول لها ساره إنه هرب. لم تشأ أن تصدق ولكن شيئاً ما في داخلها كان يؤكد لها أن حسن تخلّى عنها عندما سمع بالخبر، وهذا بالتحديد ما كان يزيد من جرحها. كانت تبكي بصمت، وما أصعب أن يبكي الإنسان بصمت، أن

ينزف دموعاً لا يشعر بمرارتها سوى القلب، تسقط كالسيوف على الروح والقلب لتجرح بدل أن تروي روحها العطشى إلى الأمان.

* * *

أنهى حسن كل أعماله في بيروت وها هو الآن متوجه إلى المطار للعودة إلى دبي، إلى البلاد التي عانت معه من وحدته، إلى البلاد التي وعدها أن يعود إليها برفقة زوجته، ها هو عائد إليها كما تركها وكما تركته.

شعور حسن بالحزن والألم كان يوازي شعور لينا. قرار حسن بترك لينا كان نابعاً من شرقية تفرض عليه أن يتزوج امرأة «مش بايس تمها إلا إمها». حتى وإن كان خطأ ارتُكِب بحقها لم تكن مشكلته الناس ولا

رأيهم ولا حتى كلامهم، بل كانت مشكلته بينه وبين نفسه... لم يستطع حسن أن يتحمل فكرة أنه سيقضي عمره مع امرأة تم الاعتداء عليها وأن أم أطفاله ستكون امرأة مُغتصبة. فضّل متابعة حياته وحيداً عوض أن يرافقه الإحساس بالذل طوال حياته.

قرار صائب بالنسبة إلى منطقه وخاطئ جداً بالنسبة إلى منطق الحياة!

«أصعب الأمر أن يكون آخر الحلول جرح من تحبّ»

(الفقدي الجميل طلال الرشيد).

وهذا كان حلّ حسن الذي اختار لنفسه ولينا والذي سيؤذيه ويدمّر حياتها.

* * *

انتهت ساره من تلك الإجراءات الروتينية وعادت فوراً إلى لينا، فقد نصحتها الطبيبة النفسية أنه لا يجوز تركها وحدها مدة طويلة كي لا تعُطى فرصة للتفكير في ما جرى، وهذا سيكون جزءاً من العلاج.

يجب أن تنسى!

«عليها أن تتسلح بذلك السلاح الفتَّاك الذي يدعى النسيان».

خرجتا من المستشفى وها هما في طريقهما إلى المنزل، ولكن إلى منزل ساره المُطِلِّ على البحر. رجّحت ساره أن بقاء لينا عندها في هذه الفترة، سوف يكون أفضل لها بكثير، وطبعاً لم تبد لينا أي اعتراض!




مسكينة، كانت تقاوم لتعيش فقط غير مكترثة للأمور الأخرى.

- حبيبتي أتريدين الدخول إلى غرفة النوم أم تريدين الجلوس على الشرفة وتأمل منظر البحر الرائع؟!.

- عايزاك تاخديلي حقي يا ساره، خديلي حقي أرجوك، اكتبي عني وعن تجربتي. عشان كل العالم يعرف إن المرأة العربية بتخسر حياتها وشرفها في دقائق وتبقى هي المجرمة قدام حبيبها وقدام كل الدنيا، خديلي حقي يا ساره، قولي للدنيا قد إيه كنت بحب الحياة وقد إيه بتمنى الموت دلوقتي.

نطقت لينا، نطقت بعد صمت طويل، وعندما تكلمت، صرخت صرخة موجعة،

صرخة من الصميم تحمل ألماً وعذاباً ومرارة، صرخت طالبة المساعدة من ساره، من الإنسانة الوحيدة التي وقفت إلى جانبها لتساندها. صرخت والدموع تتكلم عن عذابها الذي تعيشه.

- لينا يا عمري، أنت متعبة الآن، دعيني أدخلك إلى الغرفة لتستريحي، سوف يكون لدينا متسع من الوقت لنتكلم، لا تقلقي حبيبتي.

- بعد النهار ده ما فيش راحة يا ساره، ما فيش ما فيييييييييش!!.

كانت حالة لينا النفسية أكثر صعوبةً من حالتها الجسدية. كيف لا، والقلب إذا انجرح غص بالحزن والدموع والألم.

* * *

وقفت ساره إلى جانب لينا ولم تنسَ كلامها. أرادت فعلًا أن تحقق طلبها وأن تنصفها وتنصف كل امرأة ضعيفة في العالم. قررت ساره أن تكتب مقالًا وترسله إلى عدة جرائد في البلد. ولكي تعزز موقفها ومقالها قرّرت تسليط الضوء على قصة لينا كمثل عن حالات مماثلة كثيرة تظهر ولا يدري بها أحد سوى تلك الفتاة التي تدمّر حياتها وتعيش الذل إلى آخر عمرها، خائفةً من أن تحب ولا يرضى بها حبيبها أو أن تفضح قصتها وأن لا يصدقها أحد، فتطعن بشرفها. وماذا تبقى للأنثى إذا طعنت في أغلى ما لديها. إذا طعنت في شرفها!.

في حين كانت ساره تفكر وتكتب، كانت

لينا مشغولة في تبرير موقف حسن وردّة فعله. حبّها له لم يسمح لها بوصفه بالرجل العديم الأخلاق، فهي تعلم أن حسن رجل ذو أخلاق ويعشق الأسلوب الراقي في التعامل مع الآخرين فكيف لها أن تستوعب تصرفه، خصوصاً وأنه كان يحبها وهي كانت تعشقه.

لاتزال تحبه على الرغم من تصرفه الدوني، لاتزال تشتاق إليه على الرغم من تخليه عنها، لاتزال تحترمه على الرغم من احتقاره لها، لاتزال وسوف تظلّ تحتفظ با في داخلها كأول وآخر حب في حياتها.

وكان ينطبق على حالة لينا قول لغادة السمان تقول فيه:

اضبط نفسي متلبسة بالشوق

متوسلة على أبواب المجاعة إليك

أهيم على وجهك، مثقلة بأشواكي

مثل نبتة صبار صغيرة ووحيدة

وأعرف أنني سأظل أنتقدك في ولائم الفراق.

* * *

عذاب لينا لم ينته لا ليل ولا نهار، لم يكن هناك دواء أو ضماداتُ كافية لتسكين جروحها، كان عزاؤها الوحيد المقال الذي كتبته ساره عنها وعن قصتها.

أعادت ساره الحياة إلى لينا عندما وفت بوعدها وأنصفتها ولو بجزء صغير عَبْرَ هذا المقال.

«ما تاري الكلام بيضلو كلام

كل شي بيخلص حتى الأحلام».

بدأت مقالي بمقطع من أغنية فيروز، لأقول للجميع وبالعربي المشبرح: «إنو ما في شي دايم، حتى الشرف صار مهدّد إنّو يغتالوا» شرف الفتاة غالٍ بالنسبة إليها فإن فقدته فقدت كرامتها في الحياة حتى لا نقول فقدت حياتها. ولكن ماذا إن كان هناك ما هو أسوأ من ذلك؟! ماذا لو أجبرت على فقدان شرفها؟! ماذا لو اغتصبت؟!!. «الاغتصاب» كلمة لا نسمعها كثيراً في مجتمعنا، ولكنها للأسف موجودة وبكثرة، وجدت تحت ألفاظ وروايات مبطنة كـ «غُلطت»، «نصيبها»، «هاي آخرة البنت اللي بتروح وبتجي»، «فلتانة» وغيرها من

العبارات التي تخدش حياء المرأة وتمسّ شرفها وكرامتها. وتنصف الرجل الحقير «الشهم»، المجرم، الذي يقوم بفعلته هذه البشعة أو الأسوأ من ذلك إن كان والدها الذي يقرر إعدامها أو أَخوها الذي يريد غسل شرف العائلة أو حبيبها، خطيبها أو زوجها الذي يتخلى عنها لكونها الضحية ليجعل منها مجرمة برتبة امتياز. وما بالك بكلام الناس الذي لا يرحم، الكلام الذي يطال شرفها وهي مغلوبةٌ على أمرها. عندما تُغتصب الفتاة لا تعود تملك الحق في الكلام ولا حتى لتدافع عن نفسها، يحكم عليها بالإعدام وهي على قيد الحياة. تصبح منبوذة من الجميع، وكأنها حشرة أو مرض معدٍ.

«أحببت فارساً من ثلج عندما جاء

الصيف ذاب» غادة السمان.

عذراً يا صديقتي وعدتك أن أدافع عن حقك وعن حق كل امرأة مظلومة مثلك، ولكن لم أتمكن من عدم التطرق إلى تصرف رجل الثلج الذي أحببته والذي ذاب في فصل الصيف، أي في أول محنة واجهتكِ. أيها الرجال المنتحلون صفات الرجال، كونوا رجالًا أولًا في تصرفاتكم وحياتكم حتى يكو لكم حق محاسبة أي امرأة على ما تفعله. فكم من رجل تعرفه فقط من مظهره أو على الهوية لتكتشف أن المرأة أحق منه بهذه الرجولة عندما يتكلم!!

إلى كل امرأة اغتصبت أو اتهمت بتهمة كانت هي فيها الضحية أقول:

«لا حليم إلَّا ذو عزة، ولا حكيم إلا ذو

تجربة» قالها رسول الله (ص)، فتحلّي بالصبر، إن الله يمتحنك، فإما أن تجتازي الامتحان وإما أن تبرهني عن عدم قدرة. واعرفي جيداً أنه لكي تعيشي عليكِ أن تتقني فنّ التجاهل باحتراف».

* * *

- ساره أشكرك يا حبيبتي على المقال اللّي كتبتي وأتمنى إنّو يقدر يوعي الناس والرأي العام على الحقيقة البشعة اللّي عايشينها.

- لا تشكريني لينا، أنا أصلًا كان هدفي أن أوصل صوت المرأة الضعيفة إلى كل العالم، درست ونجحت من أجل إنصاف كل امرأة مظلومة، لا تنسي يا لينا إذا كنت أنت قد فقدت خطيبك فأنا قد خسرت زوجي.

لسنا نحن المخطئين، بل نحن على صواب وهم الخاطئون، الوقت كفيل بأن يردّ لنا اعتبارنا وحقنا، فلا تحزني «اللي باعك بيعي وما تسألي»!.

أخذت ساره دور لينا في القوة، فساره تلك الفتاة الريفية البسيطة، علمتها الحياة أنه يجب على الإنسان أن يواجه الآخرين بقلب قوي وبدون خوف وإلا سقط كورقة في فصل الخريف. أما لينا، تلك الفتاة الحالمة، التي تنبض بالحياة، فها هي كسمكة انتشلوها من البحر، تقاوم وتحارب من أجل أن تعيش وتعود لينا القوية التي تواجه الحياة بالمنطق لا بالمشاعر والأحاسيس. نُشر مقال ساره في أكثر من جريدة ومنها جريدة عالمية، وعملت كي يصل مقالها إلى كل العرب في جميع أنحاء العالم، لكي

يعلموا أن نساءهم تُدمّر حياتُهُنَّ من قبل رجال مجرمين!

طبعاً قرأ حسن المقال وعلم فوراً أن مقال ساره ناتج من تجربة لينا ومأساتها. حزن حسن على وضع لينا ولكنه قرّر عدم التأثر بأي شيء من اليوم وصاعداً وكأنه تبرأًّ من أحاسيسه وقتل كل نبض في قلبه كي لا يتذكر حب لينا مجدداً، حبّها الذي احتلّ قلبه أجمل احتلال وأقسى احتلال!

* * *

.. ألو ساره، كيف حالك.. أنا عمر.

فوجئت ساره كثيراً من اتصال عمر، لقد مضى وقت طويل على آخر حديث ولقاء بينهما. كانت ساره على وشك الشفاء منه

ظاهرياً، ولكن ليس لوقت طويل، فقد ارتجف جسدها بأكمله لمجرد سماع صوته على الهاتف.

- ألو ساره هل تسمعينني؟ أرجوك أجيبي.

استدركت ساره الموقف وأجابته:

- أهلًا عمر، نعم إنّي أسمعك، كيف حالك؟.

- أنا بخير، مشتاق إلى لبنان وإلى كل ما ومن فيه!.

لم ترغب ساره أن تردّ على كلامه لأنها كانت ستسمح لنفسها بإفراغ كل شوقها إلى عمر الذي عانت كثيراً كي تخبئه في داخلها طوال هذه المدّة.

- ساره لقد قرأت مقالك ولم أستبشر خيراً، هل حدث مكروه مع أحد من صديقاتك؟.

- للأسف نعم! وهي صديقتك أيضاً، إنها لينا.

- لينا؟! ماذا جرى لها؟!!

- للأسف الشديد لقد تعرضت للاغتصاب، وكأن مصيبة واحدة لا تكفيها ليزيد عليها حسن مصيبة أخرى بتخليه عنها!.

اندهش عمر من الخبر، لقد تلقى صدمتين في آنٍ واحد.

- ماذا تقولين ساره؟ كيف حدث ذلك؟! من اعتدى عليها؟ وكيف استطاع حسن

التخلّي عنها في ظروف كهذه؟! إني مذهول!.

ضحكت ساره ضحكة سخرية وأجابته بقرف:

- لا تستغرب، فحسن أكبر مثال على الرجل الشرقي الذي يعتبر الهروب في مثل هذه المواقف حفظاً لشرفه وكرامته وسمعته في المجتمع!.

كان كلام ساره لاذعاً، ولكنها عمدت أن توصل فكرتها إلى عمر، عمدت أن تعلمه أنها تعتبر أن الرجال من طينةٍ واحدة، مجبولون بالخيانة!

أقفل عمر الخطّ مأخوذاً بالخبر ومصدوماً ممّا حدث حتى إنّه نسي أن يعلم

ساره برجوعه إلى لبنان، ولكن ما الفائدة من إعلامها، فحقدها على الرجال يشمله أيضاً!

* * *

« إذا أحببت شخصاً حقاً، فعليك أن تكون مستعداً لأن تتركه حراً»

(باولو
كويلو).

مضت شهور على حادثة لينا، ولكن في مثل هذه الحالات يحتاج الإنسان إلى عمر بأكمله أحياناً كي ينسى مصيبته.

ولكن هذا لن يكون وضع لينا، صحيح أنها فجعت مما جرى لها ولكن هذه المرأة إرادتها في الحياة قوية، تملك قبضة حازمة تستطيع من خلالها أن تجعل الحياة تركع

أمامها على الرغم من عِظَمِ مأساتها.

حاولت لينا التغلب على كل أحاسيسها بالخوف والحزن والألم والاشمئزاز، وتمكنت شيئاً فشيئاً من الخروج من أزمتها، وذلك طبعاً بمساعدة ساره لها. لم تتركها ساره للحظة واحدة، كانت سندها، تمدّها بالمعنويات وبالـ«Vitamins» المنطقية لتستطيع الوقوف على رجليها من جديد.

«دعي الأيام تأخذ لك حقك، فالله موجود يا صديقتي وسوف ينصفك ويعدّ لهؤلاء المجرمين مصيراً أسود، عليك أن تتحلّي بالصبر لينا وبالحكمة التي طالما كنت تكلِّمينني عنها.. لقد علّمتني أن الحياة تحمل لنا مفاجآت كثيرة ويجب أن نكون حاضرين لاستقبالها جميعها، أنت من

علَّمتِني أن قسوة الحياة سوف تبكينا أحياناً ولكن لذة الحياة هي أن نضحك من جديد بعد كل أزمة نتخطاها، فابتسمي يا صديقتي، ابتسمي ودعي الحياة تُهزم أمام جبروت ابتسامتك».

غريبة هي الحياة، فساره التي كانت تصغي دوماً إلى نصائح لينا لتتخطى مشاكلها، ها هي الآن تعطي مواعظ لها لكي تكون أقوى. فعلًا يجب على الإنسان أن يتعلم من كل تفاصيل حياته، من يدري ماذا تخبئ الأيام له من تجارب أخرى ربما كانت أصعب من تلك التي مضت.

* * *

«آنسة ساره، أكلمك من مجلة «رأيك»، قرأنا مقالك الذي نشرته، وجمعنا

حوله الآراء وكانت كلها إيجابية، فها أنا أتصل لأسألك إن كان لديك مانع من أن نجري معك مقابلة من أجل تسلمك وظيفة لدينا».

كانت فرحة ساره عارمة عند تلقيها أول عرض عمل لها، لم تتوقع أن تحقق هذا الإنجاز بهذه السرعة.

- آه طبعاً لا مانع لديّ، حدّدي الموعد الذي يناسبك وأنا مستعدة.

- حسناً إذاً كوننا متفقتين ما رأيك أن نستعجل الأمور ونقوم بالمقابلة غداً عند العاشرة صباحاً؟.

- هذا ممتاز، إذاً عند العاشرة سأكون حاضرة شكراً لك.

أقفلت ساره الخطّ وهرعت تخبر لينا بهذا الاتصال المفاجئ، لتشاركها في فرحتها.

- لينا، باركي لي لقد اتصلوا بي من المجلة ويريدون إجراء مقابلة معي بغية توظيفي، أنا سعيدة، سعيدة جداً!!.

ابتسمت لينا وفرحت لفرحة ساره، لم تكن تتمنى لها إلا كل خير تماماً كما تستحق.

- يا حبيبتي ألف ألف مبروك وربنا يكمّلها معاك على خير بس مش عايزاك تتنازلي عن أي حق ليك في الشغل، ده حقك يا ساره وانت مش ناقصك حاجة عشان تبقي أحسن صحافية في العالم كلّه.




لم تكن لينا لتغيّر عادتها، فهي دوماً تهتم بالمحافظة على الحقوق ولا تتقبل فكرة أن يستغني أحد عن حقه مقابل أي شيء كان. ولكن المسكينة تخلّت عن أبسط حقوقها بالعيش بسلام داخلي ولم تكن قادرة على أن تقول «كلا»!!

* * *

هيأت ساره نفسها معنوياً وجسدياً للمقابلة وها هي مستعدة للذهاب، كان قلبها يرتجف ودقاته تتسارع تماماً كما حدث معها في ليلة زفافها، وفي أول نهار لها في الجامعة، ويوم طلاقها من عمر، أي في أهم أحداث حياتها.

ارتدت ساره تنورة سوداء قصيرة، أظهرت تفاصيل جسدها وقميصاً أبيض،

منتعلة كندرة سوداء ذات كعب عالٍ ورفعت شعرها عن وجهها لتبدو أكثر جدية عندما تقابل المسؤولين في الجريدة، وحرصت ساره على أن تظهر بكامل أناقتها ورصانتها، ليكمّل شكلها عقلها الكبير ومنطقها العظيم الذي تتحلى به.

استقلت تاكسي وفي نفسها رغبة وحلم بأن تأخذ قرضاً من البنك لتشتري سيارة بعد أول راتب لها، إذا قُبلت في الوظيفة.

وصلت ساره إلى مبنى الجريدة في الموعد، صعدت وعرّفت بنفسها، وانتظرت ريثما تأتي الآنسة التي ستقابلها.

«Hi Sarah».

«Hi»

- أنا غادة التي حادثتك البارحة بخصوص المقابلة.

- تشرفنا آنسة غادة.

كان الجو لطيفاً، وكان من الواضح أن ساره نالت إعجاب غادة بقوة من خلال إجاباتها المدروسة والمنطقية، وأهم ما في الموضوع ثقتها بنفسها التي لم تخنها للحظة واحدة. انتهت المقابلة وفرحة ساره تضاعفت عندما أخبرتها غادة أنه لا داعي للانتظار، يمكنها أن تباشر العمل ابتداءً من نهار غد. شكرت ساره الآنسة غادة كثيراً. وعبّرت لها عن مدى امتنانها ورغبتها في أن تكون فرداً مثمراً من أفراد هذه المجلة. عادت ساره إلى المنزل وقلبها تغمره السعادة. كانت تفكر في العمل وفي المال الذي ستجنيه، وضعت

خططاً كثيرةً لمشاريع تريد القيام بها على الصعيد المالي، أوّلها شراء سيارة وتعلم القيادة، وكذلك على الصعيد المهني، فقد كان هدف ساره الأساسي المرأة بشكل عام ومشاكلها وحقوقها في الحياة بشكل خاص.

مشاريع كثيرة وأحلام كبيرة، كانت تحتلّ فكر ساره، هذه المرأة المستقلة التي تمكنت أن تنجح وتبني لنفسها حياة هادئة، ناجحة ومستقلة بعيداً عن مساعدة أي رجل. لقد أثبتت ساره لكل من شكك في قدراتها أن الإنسان إذا أراد شيئاً حققه، حتى وإن كان هذا الكائن امرأة!!

* * *

عادت ساره إلى المنزل، إنسانة حالمة، ترى الحياة ألواناً وورود اً، وترى مستقبلها

يرتسم أمامها. كان في قلب ساره غصة واحدة فقط، غصة بُعدها عن عمر. كم تمنّت أن يكون عمر بجانبها في هذه اللّحظات لتشاركه في فرحها بكل ما تحصد من نجاح. نعم لاتزال تحبّه! ما زال قلبها ينبض باسمه، مرّت سنوات والقلب مُوقفٌ ساعته منذ افترقا. منذ أن رحل عمر توقف قلب ساره عن النبض بالحياة، أصبح فقط ينبض ليعيش ليس أكثر. لاتزال تشتاق إليه، تتنفسه، عندما تكون وحدها تتذكر كل يوم قضته معه، عندما تسمع أحداً ينادي باسمه تشعر بأن قلبها يرتجف وتلتفت لترى ما إذا كان هو نفسه عمر حبيبها الغائب.

على الرغم من جرحها العميق الذي سببه لها عمر، لاتزال ساره تحتفظ بحبه في داخلها، وكأنه لم يؤذها يوماً وكأنه لم يرحل

يوماً. ظنّت أنها بتغيير منزلها سوف تتمكن من نسيانه، ولكن لم تَنْسَه قط. نسيت ساره أن الحب لا يرتبط بزمان أو مكان، للحب روحية خاصة ترافق الحبيب أينما كان. هربت من كل ما يمكن أن يذكّرها به، لتجد نفسها في النهاية مكبّلة بحبه أينما ذهبت.

تقول غادة السمان: « في المسافة بين غيابك وحضورك انكسر شيء ما، لن يعود كما كان أبداً».

أما ساره فتقول العكس، كل الناس تنسى بمرور الوقت والبعد، إلا ساره! ازداد حب ساره لعمر بمرور الوقت وعلى الرغم من المسافات والكيلومترات التي فرقت بينها وبين عمر، لم تَنْسَه بل تعلقت به أكثر. كان حبه يكبر في داخلها يوماً بعد يوم، كطفل صغير

تحتضنه بحنان، خائفة من أن تخسره في يومٍ من الأيام.

* * *

- إزيك يا حبيبتي، وحشتيني أوي.

- سامي يا عمري وانت واحشتني أكثر والله، أنا كويسة قول لي انت عامل إيه وإزاي شغلك؟.

- كله تمام الحمد لله، لينا ما قولتليش إنتي ليه لغيتي زواجك حصل إيه؟! كنت مشغول أوي وما جتش فرصة عشان أكلمك وأسألك.

لم يكن سامي يعلم بالكارثة التي حلّت بلينا، لم تشأ أن تخبره وهو في الغربة، لن يتحمّل الصدمة.

- حبيبي ده نصيب، على العموم أنا جاية فرنسا بعد كام يوم، حقضي الإجازة هناك وبالمرّة أغيّر جو.

- آه بجد! حاتنوري يا حبيبتي، أوّل ما تحجزي كلميني عشان أنزل أجيبك من المطار.

- ماشي يا حبيبي، خد بالك من نفسك.

عادت ساره إلى المنزل وتحدثت مع لينا لساعات طويلة أخبرتها فيها بلقائها بالمسؤولة في المجلة وببدئها العمل إضافة إلى أحلامها التي تنوي تحقيقها.

فرحت لينا بأخبار ساره وأعلمتها أنها ستسافر لتمضي فصل الصيف في فرنسا

مع سامي. حزنت ساره لسماعها الخبر، فقد اعتادت وجود لينا في المنزل ولا ترغب أبداً في العودة إلى حياة الوحدة التي كانت تعيشها.

- معليش يا حبيبتي ما هو أنا مش حافضل ساكنة معاك طول الحياة، وبعدين إنت حتبتدي بشغلك الجديد ومش حتكوني فاضية لأي حدّ.

اقتنعت ساره بكلام لينا الذي خفف عنها حزنها، وتذكرت عملها الجديد والالتزامات التي ستكون بانتظارها وكذلك متطلبات عملها التي سوف تكون كبيرة.

* * *

إنه أول نهار لساره في عملها وآخر

نهار للينا في لبنان، كانت هذه الأخيرة قد قررت أن تستقر في فرنسا مع أخيها سامي لكنها لم تشأ إخبار ساره كي لا تحزن، سوف تعلمها عندما تصبح في فرنسا.

ودعت ساره لينا قبل ذهابها إلى العمل، كان وداعاً حزيناً، بكت ساره كثيراً وكأنها أحسّت بأنه سيمضي وقت طويل على أن تعاود رؤية لينا من جديد.

- خلاص بقى ما همّا كم شهر وإن شاء الله راجعالك حالًا.

- لا تتأخري لينا فأنا بحاجة إلى أن تكوني إلى جانبي.

- ما تخافيش يا حبيبتي ولو احتجتي أي حاجة كلميني فوراً حتلاقيني جنبك زيّ




كلّ مرة.

- انتبهي لنفسك، تصلين بالسلامة.

- وانت كمان خلّي بالك من نفسك يا ساره وخليكي قوية مهما حصل.

انتهت ساره من توديع لينا وانطلقت إلى عملها فوراً خشية أن تتأخر في أول نهار لها. وصلت ساره في الوقت المحدد وتحدثت مع المسؤولة التي شرحت لها ماذا يجب أن تفعل.

كانت ساره حرّة أن تختار الموضوع الذي تريد لتلقي عليه الضوء في كل أسبوع. اختارت موضوع المرأة طبعاً كأول مقال لها في المجلة، أرادت أن تكون رسالتها واضحة وأن تحتلّ أمور المرأة الحيّز الأكبر من

عملها. بدأت ساره مقالها بحديث صرّحت به «Zieba Shorish Shonly» مأخوذ من «Look its my world» قالت فيه:

They made me invisible,» shrouded and non-being. A shadow, no existence, made silent and unseeing. Denied of freedom, confined to my cage. Tell me how to handle my anger .«and rage

اختارت ساره هذا الحديث لـ Zieba Shorish لكي تسلط الضوء على فكرة معينة ألا وهي أن المرأة، تهمَّش في كثير من الأحيان! تعامل وكأنها غير موجودة وكأنها حجر، أصمّ دون مشاعر وأحاسيس ليكون

دورها مقتصراً على أعمال المنزل والطاعة. طاعة الأب والأخ والزوج، لا ليكون لها رأي تعبّر عنه لمن يسمعها ويقدّرها. عالجت ساره هذا الموضوع مبيّنةً الظلم الذي تعيشه بعض النساء حتى عصرنا هذا، الذي من المفترض أن يكون عصر الحضارة والتطور والانفتاح، ولكن للأسف إنه عكس ذلك، إنه عصر الانحطاط الفكري والمنطقي!!

* * *

وصلت لينا إلى باريس، وكان سامي بانتظارها بشوق كبير قد أفرغه كل منهما عند رؤيته الآخر. مرّت سنين طويلة لم ترَ فيها لينا أخاها. هو من تبقى لها في هذه الحياة بعدما سرق منها القدر كل أحبائها. زاد تعلّقها به بعد كل المحن التي مرّت بها،




أصبحت خائفة من أن تفقده هو أيضاً، فتصبح وحيدة كليًّا في هذه الدنيا الغريبة.

- وحشتني يا حبيبي، وحشتني أوي أوي!.

- وأنت كمان وحشتيني ووحشتني أيامنا مع بعضنا.

- اطمن يا سيدي مش حديلك فرصة أوحشك فيها بعد كده، أنا قررت أسكن معاك، طبعاً لو ما عندكش مانع.

فرح سامي بقرار لينا، فهو أيضاً كان يعيش وحيداً، وعلى الرغم من صداقاته الكثيرة كان يعود إلى المنزل في المساء ليجد نفسه وحيداً، لا أنيس ولا جليس يشاركه في حياته. سيكون وجود لينا معه أمراً جيداً له

وكذلك لها أيضاً، فهي بحاجة إلى رجل يقف إلى جانبها، رجل تثق أنه لن يتخلى عنها مهما جرى.

خرجا من المطار واتجها إلى منزل سامي، كان يسكن في «Bordeaux»، إحدى المناطق الفرنسية الراقية، التي يتجلى فيها سحر فرنسا كلها تماماً كبقية المناطق. وجدت لينا أن فكرة قدومها إلى فرنسا، هي أفضل قرار اتخذته، سوف تقضي وقتها وهي تكتشف سحر هذه المدينة الراقية والمليئة بالمشاعر والأحاسيس. لطالما قالت لينا إنّ فرنسا لغز ليس باستطاعة أحد فهمه.

قررت أن تبدأ حياتها من جديد وأن تنسى كل التجارب التي عاشتها، لن تتذكر

منها سوى العبر التي تعلمتها جراء الألم الذي خلّفته كل تجربة حزينة.

لم تكن لينا تريد إخبار سامي بما جرى معها، فهي تعتبره شيئاً من الماضي وليس هناك من داعٍ لأن تعاود ذكره مرةً أخرى، فالحياة تنتظرها بجميع ألوانها. لا داعي لأن تستعيد الذكريات بالأبيض والأسود.

* * *

Bon-»
jour
Sa-
,«rah

- آه لينا، حبيبتي لقد اشتقت إليك،

كيف حالك؟! لا تقولي لي إنك تقمصت الحياة الفرنسية فوراً ونسيتِ اللغة والحياة في الوطن الأمّ.

ضحكت لينا ضحكة كانت قد نسيتها منذ وقت طويل، ضحكت وكأن روحها قد عادت إليها من جديد.

- ساره مش حتصدقي قد إيه فادتني مجيتي لفرنسا، حاسة إني إتولدت من جديد، فرنسا ساحرة، رائعة، مش لاقية الكلام المناسب عشان أعبّرلك عن مدى روعتها، لازم تيجي تزوريها وتشوفي بنفسك.

كانت ساره فرحة جداً بسماع كلام لينا، شعرت وكأنها استعادت صديقتها القديمة المليئة بالحياة والنشاط والمرح.

- أنا سعيدة جداً بكل ما أسمعه منك يا لينا، آمل أن تعودي إلى حياتك السابقة وأن تكون سفرتك هي صفحة جديدة تلوِّنينها بأجمل الأحاديث.

واضح أن الحياة سوف تعوض لينا عن كل ما مضى، فهي ليست بحاجة إلى حب لكي تعيش، كانت تعيش حياتها بشكل جيد قبل تعرفها إلى حسن، وهي قادرة على العيش من دون ذلك الوهم الذي يُدعى «حب» إلى آخر حياتها. الحبّ أحياناً ليس شرطاً لكي يكون الإنسان سعيداً بحياته، فكل إنسان يجد السعادة في الحياة على طريقته، ومن الواضح أن للينا نظرية أخرى فيما يتعلق باستمتاعها بالحياة.

* * *

يرضع الطفل من أمه حتى يشبع

ويقرأ على ضوء عينيها حتى يتعلم القراءة والكتابة

ويأخذ من نقودها ليشتري أي شيء يحتاج إليه

ويسبب لها القلق والخوف حتى يتخرج من الجامعة

وعندما يصبح رجلًا يضع ساقاً فوق ساق في أحد مقاهي المثقفين

ويعقد مؤتمراً صحافياً يقول فيه:

إن المرأة بنصف عقل!

وليام
شكسبير

نجاحات ساره في المجلة كانت تزيد فرحتها أكثر وأكثر. لقد حقّقت ساره حلمها، واستطاعت من خلال مقالاتها التي تنشرها كل أسبوع أن تستقطب الرأي العام وتلفت انتباه القرّاء إلى موضوع مهم قد غاب عنهم لوقت طويل. تناول ساره لموضوع المرأة واهتمامها بإنصافها قد جعلها كاتبة ينتظرها القرّاء كل أسبوع أكثر من دورها كصحافية. استطاعت ساره أن تجمع بين عملِها كصحافية من خلال المقابلات التي كانت تجريها مع بعض الهيئات المهمة في البلد وفي الوقت نفسه كانت تختار أشخاصاً يخدمون فكرتها لتستند إلى أقوالهم كدعم لها في مقالها الأسبوعي.

- ألو أستاذ أسامة، أنا ساره صحافية في مجلة «رأيك» أردت أن آخذ من وقتك

ساعة لو سمحت لأجري معك مقابلة حول جمعيتكم إن لم يكن لديك مانع.

أستاذ أسامة خير كان صاحب إحدى أهم الجمعيات التي تُعنى بحقوق المرأة والتي تهتم بكل شؤونها، فاختارته ساره كي تتحرّى عن كل ما يدور وما تهدف إليه هذه الجمعية، بغية إخبار الناس بمدى أهمية وجود جمعيات كهذه في مجتمعنا.

- بالتأكيد ليس لدي مانع، أنا حاضر للإجابة عن كل أسئلتك، اختاري الوقت الذي يناسبك وسأكون بانتظارك.

- شكراً جزيلًا لك أستاذ أسامة، إن كان يناسبك سأمرّ على الجمعية غداً عند الساعة العاشرة صباحاً.

- إذاً أنا في انتظارك آنسة ساره.

كانت ساره تحب أن تنتسب إلى جمعية تُعنى بشؤون المرأة وتعمل مع جميع أعضائها من أجل الدفاع عن حقوق هذا الكائن الضعيف، ومن أجل تحسين وضعها الاجتماعي والعائلي والعملي؛ ولكن الفرصة لم تسنح لها فقررت على الأقل التعرف إلى عمل هذه الجمعيات والاطلاع على المجهود الذي تقوم به من أجل المرأة.

* * *

- آه كم اشتقت إلى هواء بيروت!.

تمتم عمر بعد خروجه من المطار، متنفساً الهواء. لطالما عشق عمر بيروت ولطالما كان يحلم بأن يعود لكي يعيش في

أحضانها من جديد. فبيروت قد احتضنته لمدة طويلة، عاش وتعلّم وتزوج وطلّق في بيروت، لبيروت وأماكنها ذكريات في قلبه لا يمكن للزمن أن يمحوها، فكل تطورات حياته والأحداث المهمة حدثت له وهو في هذه المدينة، هي تحمل أسراره وأوجاعه وأحزانه وأفراحه، ببساطة هي والدته التي تنوب عن دلال في بعده عنها.

لم يكن يعلم أن ساره تركت المنزل الذي كانا يعيشان فيه واستأجرت منزلًا آخر. ومع هذا لم يشأ هو أن يذهب إليها، خاف أن تنزعج فتوجه إلى الـ«Hotel» ريثما يجد لنفسه شقة يستقرّ فيها.

كان يتحرق شوقاً لرؤية ساره ولكن في الوقت نفسه كان خائفاً من ردة فعلها ومن

رفضها لرؤيته عندما يخبرها بمجيئه. وصل إلى الـ«Hotel»، أنزل حقائبه وقرّر أن يتصل بساره ويدعوها إلى العشاء بمناسبة عودته آملًا بأن توافق.

- ألو ساره كيف حالك، أنا عمر.

فوجئت ساره باتصال عمر خصوصاً وأنه يتصل من رقم لبناني، لم يخيَّل إليها أنه قد عاد إلى لبنان، فقد سافر عمر مصمماً على عدم العودة إلى لبنان ولكن ربما جاء في زيارة ليرى أهله.

- أهلًا عمر أنا بخير كيف حالك أنت؟ وكأنك تحادثني من رقم لبناني؟!.

لم تستطع ساره إمساك نفسها عن سؤاله فكانت ترتجف لمجرد التفكير بأنه قد




يكون هنا.

- أجل فأنا في لبنان وصلت توّاً وقررت أن أحادثك على الفور وأن أدعوك إلى العشاء إن لم يكن لديك مانع.

كاد قلب ساره يتوقف عن الخفقان عند سماع عمر يقول لها بأنه عاد إلى لبنان، أرادت أن تخبره بأنها طبعاً موافقة ولكن كبرياءَها وكرامتها منعاها.

- الحمد لله على سلامتك ولكنني فعلاً آسفة عمر لن أتمكن من تلبية دعوتك إلى العشاء فأنا مرهقة وغداً بانتظاري أعمال كثيرة، ربما أراك في وقت لاحق.

أجابته وقلبها حزين، غير راضٍ عن إجابتها، ينتفض غضباً على كلامها ولكن

الوقت علّم ساره بأنه كلّما عذَّبْتِ الرجل احترمك وأحبك أكثر.

كانت ساره صارمة ولكن عمر لايزال ذلك القاضي المصرّ على رأيه.

- لا تعتذري ساره لأنك ستلبين الدعوة، لن نتأخر، سوف نتناول العشاء ونتحدث قليلًا ومن ثم نعود، لن أسمح لك بالاعتذار جهزي نفسك وسوف آتي لآخذك بعد ساعة.

فرح قلب ساره بإصرار عمر، أحسّت وكأنها ولدت من جديد. غريب كيف أننا ننسى سنين من الألم بلحظةٍ من السعادة.

- حسناً إذا كنّا لن نتأخر فأنا موافقة ولكن دعني أعطيك عنواني الجديد فقد انتقلت من المنزل القديم.




لم يكن عمر يتوقع أن تستغني ساره بهذه السهولة عن المنزل الذي عاشا فيه معاً. ولكن لماذا كان يتوقع أن تحتفظ بالمنزل وهو قد تخلّى عنها، فتخليها عن المنزل ليس إلا نقطة في بحر أفعاله.

على الرغم من ذلك لم يكن عمر ليسمح لأي شيء بأن يسرق منه فرحته. إنه في غاية السعادة، سوف يقابل ساره. سوف يقابل الصحافية والكاتبة المشهورة التي نالت بمقابلاتها إعجاب الكثيرين. كان يتتبع نجاحاتها وكتاباتها، وكان من أشدّ المعجبين بها وبإصرارها على إيصال فكرتها. علم ساره واجتهادها واستقلاليتها جعلَتْ عمر يكتشف أنها تستحوذ على مكان كبير في قلبه وعقله. كان يشتري المجلة كل أسبوع ليقرأ مقالاتها ومقابلاتها فقط مع أشهر

الشخصيات. كان يحبّ أسلوبها في الكتابة
وطرح الأسئلة، كان يحبّ فيها كل ما فيها!

* * *

لم أكن حاضراً

لم أكن غائباً

كنت بين الحضور وبين الغياب

محمود
درويش

كانت ساره تهيء نفسها وكأنها مراهقة، ذاهبة لمقابلة حبيبها، أعاد إليها عمر شعورها كأنثى الذي فقدته منذ أن رحل. فساره كانت تشعر بأنوثتها فقط بوجود عمر، وبعد رحيله لم يكن لأنوثتها مكان، فهي

كانت تتجمل وتتأنق له وحده.

ارتدت ساره فستاناً وردياً، يحمل جميع ألوان الصيف و«Sandale» زهراً متناسقاً تماماً مع ثوبها، بدت وكأنها وردة في بستان. سرّحت شعرها الطويل وزينته بوردة باللّون الوردي. تجمّلت وكل ذلك من أجل عمر، مضى وقت طويل لم تهتم فيه ساره بجمالها، كان عملها ودراستها يستحوذان على كل وقتها ولم يكن هناك ما يدفعها لأن تعتني بجمالها، ولكن عودة عمر غيّرت فيها أشياء كثيرة أولها ابتسامتها التي فقدت رونقها منذ رحيله وآخرها بريق عينيها الذي اختفى مع اختفاء عمر.

لم يكن الوضع يختلف بالنسبة إلى عمر، فهو أيضاً عمل على إظهار وسامته

التي لم تكن أصلًا قابلة للإخفاء.

بدّل عمر عادته، قرر أن يفاجىء ساره ويتخلى عن بدلته ليستبدلها بـ «Jeans» وقميص أبيض يظهر جمال عينيه. اعتمد الـ«Casual Style»، فلطالما أحبت ساره أن تراه بلباس مختلف عن البذلة ولكن عمله كان يتطلب منه كل ذلك. لكن هذه اللّيلة مختلفة، هذه الليلة لن يكون مضطراً للالتزام بأي أمور أخرى سوى ساره. إنه ذاهب لملاقاة حبيبته التي لم يعترف لها بحبه البتّة، والتي عانت بسببه كثيراً.

لن يكون من السهل على ساره أن تغفر له ذنوبه، حتى وإن نسيت رفضه ومعارضته لدراستها، لن تستطيع أبداً أن تنسى أنه وقف مع أهله وطلّقها!!

* * *

- ساره أنا في انتظارك في السيارة، إن كنت جاهزة فانزلي.

- نعم، أنا جاهزة، دقائق وأكون عندك.

كان قلب ساره يخفق بقوة والعرق يتصبب من يديها لكثرة توترها. دقائق وسوف ترى حبيبها، دقائق وسوف تقابل عمر بعد غيبة دامت سنين، وبعد فراق مرير عانت فيه كثيراً. حاولت ساره أن تتمالك أعصابها وتوجهت إليه على الرغم من محاولة عمر تمالك أعصابه، إلا أن كل محاولاته باءت بالفشل عندما رأى ساره تطلّ بكل أناقتها وجمالها من الـ«Hotel». ارتبك القاضي عمر لأول مرّة في حياته، ارتبك والسبب هو «امرأة». وكأن لوجودها رهبة




مشابهة تماماً لرهبة عمر بالنسبة إلى ساره.

ترجّل عمر من السيارة وتوجّه نحوها ليفتح لها الباب.

- إن سمحت لي سوف أنادِيكِ أميرتي اللّيلة فتفضلي يا أميرتي.

لم تسمع ساره هذه الكلمة منذ وقت طويل، ولكنها لاتزال عندما تسمع عمر يناديها بها تشعر بأنها قد امتلكت العالم بأسره.

ابتسمت ساره ابتسامة شكر وموافقة على طلبه في الوقت نفسه وصعدت إلى السيارة.

- تبدين جميلة، فاتنة كعادتك، لا بل ازددت جمالًا.




احمرت وجنتا ساره خجلًا من كلا،
عمر، فهي شفافة جداً حتى حين كانت
زوجته كانت تتلون وجنتاها من غزله بها.

- ولاتزال عيناك الجميلتان تريان كل
شيءٍ جميلًا.

لم يكن عمر وحده يتقن الكلام الآن،
فساره أيضاً تضاهيه رقيّاً في كلامها.

- عيناي جميلتان وجمالك أضاف
إليهما جمالًا.

- لقد اخترت مطعماً مطلًا على البحر
اشتقت إلى بحر بيروت، آمل أن يعجبك
المكان.

اختار عمر المطعم الذي تناولا فيه
الغداء عندما تزوجا، كان يهدف من اختياره

لهذا المكان أن يعيد الذكريات الماضية.

تذكرت ساره المطعم جيداً وعرفت أن عمر تعمّد اختياره ولم تكن لديها أية مشكلة، على العكس فرحت بأنه لا يزال يذكر الأمكنة التي كانا يذهبان إليها معاً.

تناولا العشاء وتحدثا مطولًا عن إنجازات عمر وحادثة لينا، وطبعاً كان لإنجازات ساره الحصة الكبرى. أعرب عمر لساره عن مدى سعادته وفخره بالنجاح الذي حققته والذي لاتزال تحققه حتى الآن وتمنى لها أن تصل إلى أعلى قمم النجاح والتفوق.

شعرت ساره بالفخر وبالرضى الداخلي عندما سمعت كلام عمر وكأنها لم يكفِها رأي المجتمع بأسره، فلم تشعر بسعادتها الكاملة إلا بعد أن سمعت رأي

عمر تحديداً. لا بد أن للحبّ عجائب لا يدركها سوى العشاق ولا يعيشها إلا كل من عرف طعمه. انتهت السهرة، بطلب عمر من ساره بأن يعاودا الكرّة، قائلًا لها:

- آمل أن يكون لهذه السهرة الرائعة إعادات في المستقبل القريب فأنا بحاجة إلى أن أتكلم وإلى أن تسمعيني ساره.

لم تبدِ ساره مانعاً في ذلك، فهي كانت تتمنى أن تقضي أطول وقت ممكن مع عمر ولكن طبعاً لم تعبّر له عن رغبتها، اكتفت فقط بقبول طلبه.

* * *

غرق كل من ساره وعمر في أحلام لا نهاية لها فور عودتهما من العشاء. أحسّت

ساره بلهفتها على عمر التي لم تتغيّر وأحسّت أيضاً بلهفة عمر عليها التي لم تشعر بها يوماً من قبل.

حال وصوله إلى الفندق بعث عمر لساره برسالة قال لها قولًا من أقوال محمود درويش يشمل كل ما يريد قوله لها.

- لن أسميك امرأة.. سأسميك كل شيء! تصبحين على خير أميرتي.

فاستعانت ساره بقول لوليام شيكسبير ردّت فيه على عمر وقالت:

- كثرة الأماني أرهقتني ويا ليتني ما تمنيت!.

وأنت بخير عمر.

اختار كل واحد منهما قولًا لأحد العظماء ليعبّر عمّا يريد قوله وعن كل المشاعر في قلبه والأفكار في عقله.

كم تمنّت ساره لو أن حب عمر لها قد أتى مبكراً، تفادياً لكل ما دار بينهما من نزاعات وفراق ولوعة، غريبة هي الأشياء، فهي لا تأتي في الوقت المناسب بل تصل وقد تأخر الوقت لتشعر صاحبها بالندم على كل ما مضى.

* * *

شمس نهارٍ جديد قد أشرقت، إنه نهار مهم بالنسبة إلى ساره، فهي ستقابل اليوم الأستاذ أسامة وستتعرف إلى حياة الجمعية ومسيرتها التي طالما سعت لتتعرف إلى عمل هذه الجمعيات واليوم قد جاءتها الفرصة.

- صباح الخير، لو سمحت أريد أن أقابل الأستاذ أسامة، أنا الصحافية ساره ضو

- «تفضلي آنسة ساره، أنا هو أسامة.

- آه أستاذ أسامة عفواً فلم أتشرف بمعرفتك من قبل.

- لا تهتمي، أحبّ أن أستقبل ضيوفي بنفسي، فلا داعي للشكليات، تفضلي إلى مكتبي.

دخل كل من ساره وأسامة إلى المكتب ودار حديث طويل بينهما، لم تكن أسئلة ساره هي أسئلة الصحافية ساره ضو بل أسئلة المرأة والإنسانة ساره ضو. كان واضحاً من استفسارها عن الجمعية وعملها

وأهدافها أنها مهتمة بالموضوع ليس لغاية عملية بل لهدف إنساني.

- واضح أن موضوع الجمعية مستحوذ على اهتمامك كثيراً آنسة ساره.

- في الواقع، نعم! إن رسالتي كصحافية أن أظهر واقع المرأة إضافة إلى العنف والظلم اللذين تتعرض لهما في مجتمعاتنا الشرقية. وفي الحقيقة أنا أرغب منذ زمن أن أكون عضواً في جمعية تدافع عن حقوق المرأة وتحميها، لذلك تراني مهتمة كثيراً بجمعيتكم.

- يسعدني سماع ذلك، فنحن بحاجة إلى الدعم، ودعمك سيشرفنا ويزيد من تألق الجمعية ونجاحها.

- كن متأكداً أنني فعلًا أنوي أن أكون عضواً في هذه الجمعية. لا يمكن لأحد أن يكون على علم بأوضاع المرأة الزّرية وأن لا يحرّك ساكناً من أجل تغيير هذا الواقع. أنا أتمنى أستاذ أسامة أن نكثّف جهودنا معاً ليسمع صوتنا العالم بأسره، فقد حان الوقت لإنصاف هذا الكائن الضعيف ولو حتى بكلام، وطبعاً هذا الكلام سيكون مقترناً بأفعالنا من خلال الجمعية.

- لقد أسعدني كلامك آنسة ساره وشعرت أن هناك أحداً يشاركني في أفكاري وخططي.

- أنا التي سُعِدْتُ بالتعرف إلى شخص مثلك أستاذ أسامة، ويسعدني أيضاً أن تكون الصرخة مجبولة بصوتٍ ذكوري، فهذا

يعزز من حماستي وقدرتي على المضي قدماً، فقليلون هم الرجال الذين ينظرون إلى المرأة نظرة احترام ويعملون على إنصافها.

انتهى اللقاء بين ساره وأسامة الذي دام ساعات طويلة ونتيجته كانت مثمرة، فقد انتسبت ساره إلى الجمعيَّة وقررت أن تتعاون مع أسامة من أجل توفير غد أفضل لكل امرأة في العالم العربي على الأقل.

* * *

اشتقت إلى حديثك

إلى صوتك...

اشتقت إلى جنونك وإلى رصانتك...

اشتقت إلى حنانك وإلى قسوتك...

اشتقت إلى كل شيء ترتكبه لتثير غضبي فقط وتطلق ضحكتك في الهواء ثم تلمع عيناك ببراءة وتقول«آخر مرة».

وأبتسم لك رغماً عني..

ومع ذلك لاتزال لدي أحلامي الصغرى، كأن أصحو يوماً من النوم متعافية من الخيبة!

رغماً عنها كانت تضحك، رغماً عنها كانت تتظاهر أنها بخير، رغماً عنها كانت تجامل هذا وذاك، رغماً عنها كانت ترسم ابتسامة على وجهها تخفي خلفها مرارةً ودموعاً لو علم بهما الحجر لتكلم!

هذه هي لينا، فرغماً عنها لم تعد لينا!!

لاتزال حادثتها تؤثر فيها، ولايزال

تصرف حسن يذبحها ويسرق منها روحها التي تحاول جاهدة استعادتها.

لم تستطع باريس حتى الآن شفاء لينا من أحزانها، لم يستطع بريق الشوارع وفرح الناس أن يعيدا إليها ابتسامتها وجنونها وحبها للحياة. كانت لينا تعاني وحيدة، لا أحد يشعر بها وليس هناك من أحد إلى جانبها ليخفف عنها.

لم يكن سامي يعلم بمصيبتها، لاحظ التغير البادي في شخصيتها وفيها كلّها ولكنها كانت دوماً تبرّر الموضوع بأنها مرهقة من عملها طوال المدة الماضية، وهي بحاجة إلى بعض الوقت لترتاح.

كم تتمنى لينا أن يكون ألمها وحزنها ناتجين فعلًا من كثرة العمل، كم كانت

ستختلف الأمور ولكنها كانت واثقة بأنها ستنسى وستعود إلى حياتها السابقة، ستعود لينا الإنسانة المليئة بالحياة والفرح ولكن سيكون رغماً عن الحياة وبرضاها هذه المرة.

* * *

«من الصعب أن تحب وتكون حكيماً».

فقد عمر حكمته بأكملها مع حبه لساره. كان يتصرف كالمراهقين، يبعث إليها الرسائل طوال النهار والليل وينتظر ردها بلهفة، يفرح عندما تردّ عليه ويضحك قلبه عندما يراها.

وأخيراً شعر القاضي عمر بالحب. استطاعت ساره أن تكسبه بعدما خسرته.

فبالخساره تربح.

كانت تصرفات عمر بريئة، نابعة من قلبه، صادقة، لم يكن ينقصها سوى أن يعترف لساره بحبه، ولكنه كان خائفاً. خاف عمر أن ترفضه ساره، فهو يدرك تماماً كم أحبته وكم تحملت لأجله في حين هو تركها وحيدة ورحل.

خاف عمر أن يخسر ساره حتى كصديقة، خاف أن لا يعود لها وجود ملموس في حياته. لم يكن عمر يتصور حياته من دونها؛ لقد ترك كل شيء في باريس وعاد لأجلها، ترك عمله ومنصبه وهدم كل ما بناه، ليعود ويبني معها شيئاً أجمل، ليعود ويبني معها حياة مليئة بالحب إلى الأبد.

غريب شعوره حتى إنه فكّر في

أطفالهما معاً، عمر الذي لم يخطر بباله الإنجاب يوماً خلال زواجه ساره، أصبح اليوم يحلم بأن يكون له ولد من ساره، بأن يكون له ولد يشبهها ويكون ثمرة حبهما، يجمع روحه وروحها في جسد واحد.

أراد أن يقول لها كل تلك الأمور ولكن القاضي الذي حكم بأحكام أقسى وأكثر جرأة أمام ملايين من الناس خائف من إعلان حبه لامرأة واحدة. امرأة أحبّته وصانت اسمه واحترمته على الرغم من قسوته.

* * *

كانت ساره تدهش مَنْ حولها يوماً بعد يوم، فإضافة إلى عملها في المجلة، استطاعت أيضاً أن تثبت عضويتها بجدارة




في الجمعية، كانت تستنفذ كل طاقتها من أجل إنصاف المرأة، لم تكن تملّ أو تتعب من متابعة أي موضوع من شأنه أن يدافع عن حقوق المرأة.

قدمت ساره أفكاراً مهمة لأسامة من أجل تطوير عمل الجمعية. حتى إنها اقترحت فتح فرع جديد في الجمعية يدعو كل امرأة إلى التوجه إليه من أجل توفير عمل يليق بها وبقدراتها؛ فبالنسبة إلى ساره لا بدّ لمجتمعنا أن ينتفض ويستعين بقدرات المرأة التي لا يملكها أي رجل!

أعجب أسامة بساره، كان في البداية معجباً بنشاطها وإقبالها على العمل وبحرصها على الوصول إلى هدفها ولكنه اكتشف لاحقاً أنه يحبّ ساره المرأة الأنثى

بكل ما فيها وليس فقط ساره المرأة العاملة.

أحبّها وكانت لديه الجرأة على عكس الكثيرين الذين أعجبوا بها، أن يعترف لها:

- ساره ما رأيك لو نخرج للعشاء هذا المساء؟!.

- It's Ok، ليس لدي مانع.

- هذا رائع إذاً سأمر لآخذك.

- آه لا تتعب نفسك أسامة، لا تَنْسَ أصبح لديّ سيارة أخيراً.

ضحك أسامة من عفوية ساره واستسلم لرغبتها كعادته.

ستكون ليلة مهمة بالنسبة إلى أسامة، صاحب الأربعين عاماً والابتسامة الجذابة.

لو كانت العلاقات الزوجية تبنى على الجمال والـ«Charisma» لكان أسامة فاز بمشاركة ساره في حياته ولكن الأمور تختلف، فللحب دورٌ أساسي في مثل هذه المواقف.

كانت لهفة ساره غائبة كلياً، على عكس وضعها عندما يكون الأمر متعلِّقاً بعمر. جهزت نفسها وانطلقت. كانت ساره تعتبر أسامة صديقاً وزميلًا في قضية تهمها كثيرا لذلك كانت تثق به.

* * *

- هل تراهنين أن الجميع هنا سوف يحسدونني في هذه الليلة؟.

ضحكت ساره وأجابت أسامة بعفويتها

الطفولية.

- طبعاً Mr. Oussama، يحق لرجلٍ جذاب مثلك أن يغترَّ ولا داعي لأراهن.

ردّ أسامة فوراً على ساره وبعفوية أكبر:

- أنت مخطئة Miss Sarah، الجميع سيحسدونني لأني برفقة امرأة في غاية الجمال، فعندما يرونك لن يعود هناك من وجود لوسامتي.

احمرّت ساره خجلًا وحاولت تغيير الموضوع

- ما رأيك أن نطلب الطعام، لقد جعْت كثيراً.

لم تكن ساره تتقبل المجاملات، وكأنها كانت تعتبرها خيانةً لحبها لعمر الذي طالما احتفظت به في قلبها، كانت تتهرب من كل شخص يجاملها أو يحاول التقرب منها، احتراماً منها لذكرى حب عمر في قلبها بل الأصح لحب عمر في قلبها، فهو لم يتحوّل إلى ذكرى قط. لايزال هذا القلب ينبض بحب القاضي عمر كأوّل يوم رأته وأحبته فيه.

- ساره، دعك من العمل الآن، بصراحة أنا دعوتك للعشاء من أجل مفاتحتك بموضوع آخر.

ارتبكت ساره، لم تكن لتتصور بأن أسامة دعاها إلى العشاء ليعترف لها بحبه.

- لقد أقلقتني أسامة، تفضل قل لي ما الموضوع؟!.





- بصراحة لن أحاول تبطين الموضوع، سأعترف لك فوراً بكل ما في داخلي، ساره! أنا أحبك! أحببتك منذ أن رأيتك، أحببت نشاطك في العمل ولهفتك في الوصول إلى هدفك، وكذلك أحببت فيكِ الجانب الأنثوي الذي يظهر في عينَيْكِ وفي تصرفاتك وعلى الرغم من عملك، لم تفقدي أنوثتك على العكس، بل ازددت جمالًا بالتوفيق بين حياتك كأنثى وكامرأة عاملة.

صدمت ساره من كلام أسامة، فهي طالما اعتبرته صديقاً لها ولم تتوقع يوماً أن يعلن لها حبه، لم تجد الكلمات المناسبة لتردّ عليه، فاستدرك أسامة الموقف:

- ساره أرجوك لست مجبرة على شيء ولا حتى أن تجيبي، يكفيني فقط أنني عبّرت




لك عن كل ما في قلبي ويكفيني أيضاً أن تكوني بجانبي حتى كصديقة فقط. أرجوك إن أزعجك كلامي يمكنك نسيانه كلياً وإن كنت تبادلينني ولو قليلًا من الحب، تأكدي أنني سأسعدك وسأكون إلى جانبك حتى آخر العمر.

انتهت الليلة وعادت ساره إلى منزلها ملتزمةً حالة الصمت التي رافقتها منذ أن اعترف لها أسامة بحبه. لم تبد ساره رأيها بالموضوع وكأنها كانت تتوقع من أسامة أن يعرف أن قلبها ينبض فقط لعمر في هذه الحياة. لم تقل له كلمة، وكأنه من المفترض أن يُدرك العالم كلّه أنها ستبقى على عهد عمر حتى وإن هو تخلّى عنها. اختارت الصمت كي لا تجرح مشاعر أسامة التي أحسّت أنها صادقة، وكي لا تشوّه صورة

عمر في قلبها.

* * *

حالة من الصدمة رافقت ساره طوال تلك الليلة، أفكار كثيرة دارت في رأسها. لم تتقبل اعتراف أسامة لها، فهي طالما حرصت على أن تبقي مسافة بينها وبين الآخرين حتى لا تصل إلى ما وصلت إليه الليلة. لم تكن تريد لأحد أن يحبها كي لا تُضطر إلى صدّه.

كانت تحب عمر، هي التي كانت تتعمد صُنع قهوته بالطريقة التي لا يحبّها... مغرورة تغار حتى من قهوته، فلا تحب أن يعدل مزاجه غيرها، هي التي كانت ترى العالم بأسره من خلال عينيه، هي التي كانت تخاف عليه من «الهوا الطاير»، هي

التي كانت تحبّه بكل جوارحها ولاتزال تعيش كل تلك الحالات، كيف لها أن تسمح لآدميٍّ غيره بأن يدخل قلبها ويتعدّى على كل تلك الحالات الجنونية التي تخبئها لعمر.

أرادت أن تحادث لينا، فهي بحاجة لأحد تخبره بما تشعر به ولكن الوقت قد تأخر. حاولت النوم لعلّ غداً يكون يوم الانفراجات، يوم الحلول لمشاكل القلب التي أرهقتها لسنوات عديدة.

* * *

«حبيبي صباح الخير، صباحك ورد وفلّ ولوز يا عمري صباح النور يلّا اصحى غنّت فيروز».

استيقظت ساره على أنغام أغنية ماجد

المهندس التي أرسلها إليها عمر.

كان هذا الأخير يحاول استغلال جميع الفرص ليبرهن لساره أنه عاد لأجلها ولأجل حبّها.

إجابة ساره كانت دوماً لطيفة ولكن غير واعدة. لم تكن ساره ترغب في أن تستسلم لحبّ عمر الذي أرهقها، وفي الوقت نفسه كانت تتحرق شوقاً لتقول له كلمة واحدة، كلمة واحدة تختصر كل ما في قلبها من كلام... «أحبك».

اتصلت به وردّت على رسالته بالشكر، فكانت هذه فرصة أيضاً بالنسبة إلى عمر أراد أن يستغلها ولكن هذه المرّة لموضوع أكثر جدية من الغزل والمجاملات.

- جيّد أنك اتصلت بي، كنت سأكلمك لأقول لك إني أرغب في إعادة تجربة العشاء الرائعة معك، ولكن هذه المرة في مكان مختلف كلياً، فما رأيك بالساعة الثامنة، ودعيني أقل لك شيئاً أيضاً أنا أسألك فقط من باب الاحترام ولكن اليوم تحديداً لن أقبل أيّة أعذار.

ابتسمت ساره ولم تملك سوى الموافقة كجواب عن طلب كهذا مميّز من شخص رائع.

* * *

انتهت ساره من عملها في الجريدة، واتجهت كعادتها إلى الجمعية لتطمئن إلى سير الأمور.

هذه المرة الأولى التي لم ترغب فيها ساره في الذهاب إلى الجمعية، رغبة منها أن تتفادى نظرات أسامة لها وحديثها معه، ولكن في الوقت عينه لم تكن تريد أن تتكاسل في عملها على حساب أمور شخصية، فتحلّت بالشجاعة وقررت التعامل مع الأمور وكأن شيئاً لم يكن.

- Hi Oussama

- «Hi Sarah»، كيف حالك؟!.

- أنا بخير، في الواقع أنا على عجلة وقد مررت فقط لأطمئن أن الأمور تسير على ما يرام استعداداً لمجموعة النشاطات التي سنقوم بها غداً في «Down Town».

لم تكن ساره لتعطي أسامة الفرصة

ليحادثها بشيء سوى العمل وحتى من قبل لم تعطه الفرصة ليحبها ولكن أسامة اخترع تلك الفرصة وعمد أن يوجدها ليتسلل إلى قلب ساره، وللأسف باءت محاولاته بالفشل.

لا تقلقي ساره، انتهينا من تنظيم كل شيء وإن شاء الله سوف تكون الأمور على ما يرام كما توقعنا.

«رائع إذاً سوف أذهب. أراك غداً هنا لننطلق جميعاً إلى الـ«Down Town».

لقد أدرك أسامة أن ساره غير راضية عن اعترافه لها بحبه، وحتى إن تقبلت الموضوع فلن تبادله الشعور نفسه. تصرفاتها معه جعلته يفقد الأمل بسرعة، فهي وعلى الرغم من عدم مصارحتها له برفضها للموضوع، كانت تملك عينين تخبران

ما لا يبوح به لسانها، تمكن أسامة من قراءة رفضها له كحبيب في عينيها ورغبتها في أن يبقى صديقاً.

انتهت ساره من تسريح شعرها وذهبت إلى السوق لتشتري فستاناً لعشاء الليلة. اختارت فستاناً أسود قصيراً من الـ« -Den telle» وزيّنته بشال وضعته على رقبتها باللون الـ«Turquoise». بساطتها في اختيار ملابسها كانت تبرز جمالها الطاغي على كل ما ترتديه، فهي كانت تتبع مقولة:

«La Simplicité fait la beauté»

* * *

أصبحت بارعة جداً في إضاعة الوقت والهرب بعيداً عنك وعن ظلمك وقسوتك.

A -
votre
plaisir
Ma-
.dame

افتتحت لينا محلها الصغير في باريس الأسبوع الماضي. قرّرت أن تستفيد من كل لحظة في حياتها وأن لا تضيع الوقت، فلينا لم تعتد دور الفتاة الضعيفة، المملة فاقدة النشاط.. قررت العودة إلى سابق عهدها، تلك الفتاة النشيطة، المليئة بالحياة، التي تستفيد من كل ثانية لتستثمرها في حياة أفضل.

افتتحت متجراً للثياب الأوروبية ذات الجودة العالية، وكانت تستقطب زبائن من

الطبقة البورجوازية فضلًا عن الماركات العالمية التي تضعها في متجرها.

لم تعد لينا تلك الفتاة اليتيمة في غياب حسن والذليلة بسبب تركه لها، ولا تلك الفتاة الضعيفة التي استغلها شابان ليقضيا على مستقبلها بل عادت لينا الفتاة الواثقة بنفسها التي تمشي كالملكة لا يهزها شيء على الإطلاق.

- ساره يا حبيبتي وحشتيني أوي، بقالك مدة ما كلمتنيش.

- لينا حبيبتي وأنا أيضاً اشتقت إليك لقد طالت غيبتك. هناك الكثير من الأمور التي أريد إطلاعك عليها كما أريد رأيك بها.

- آه أنا ما قولتليكش، أنا فتحت محلّ




الأسبوع الماضي وبصراحة يا ساره أنا مش ناوية أرجع لبنان دلوقتي، قوليلي إنت في إيه، عاملة إيه؟.

- لينا لقد أحزنتني، كنت في انتظارك!.

- ما تزعليش يا حبيبتي، أوّل ما تيجي فرصة حانزل لبنان مخصوص علشان أشوفك.

- Ok! لينا لقد عاد عمر، وأنا أشعر أنه يحاول التقرب مني، فهو يحادثني دوماً ويدعوني للخروج معه، وقد أصرّ أن نخرج الليلة لنتناول العشاء معاً.

- بجدّ؟!! ده أكيد رجعلو عقلو وعايز يرجعلك شفتي أنا قلتلك حيرجع يا ساره.

- أجل ولكن ما رأيك أنت في




الموضوع؟.

- مش رأيي هو المهم يا ساره، رأيك هو المهم، لو شايفة إن عمر حيقدر يسعدك ويقدّرك، ارجعليلو ولو شايفة العكس يبقى أكيد خلّيكي بعيدة عنّو، إنت تعبتي كثير علشانو!.

كلام لينا كان منطقيّاً، فماضي ساره مع عمر لا يُبشر بالخير، فهو لم يحبّها يوماً ولم يقدّر أي شيء فعلته من أجله ومن أجل نفسها.

كانت ساره حائرة، كثيرة التفكير في ما يحدث مع عمر وكذلك مع أسامة، وضعان متناقضان، فهي تحب عمر وأسامة يحبّها، وعلى الرغم من رفضها لأسامة إلا أنها لاتزال تفكر فيه، من دون أن تدرك السبب.

وتذكرت مقولة كانت دوماً تسمعها من لينا «اتجوزي الراجل اللي بيحبك أكثر ما إنت بتحبي عشان حيعيشك ملكة». وفي إثر هذه الكلمات استرسلت ساره في عالم من التفكير العميق.

* * *

- تبدين رائعة أميرتي! الأسود يليق بك كثيراً.

كالعادة كان عمر يستقبل ساره بمغازلتها والتعبير لها عن مدى جمالها.

- شكراً عمر.

قالتها والخجل والانشغال واضحان على وجهها وفي صوتها.

- لا داعي.. إذاً هل أنت جاهزة لهذه الليلة؟.

سألها وكأن تلك الليلة تحمل من الأمور ما لا تستطيع ساره تحمّله.

- ما بها هذه الليلة، ولِمَ تعطيها كل هذه الأهمية؟.

- لا شيء، عندما أكون معك كل شيء يكون مميّزاً.

- حسناً، أنا دوماً جاهزة.

قالتها وكأنها تقصد أنها لطالما كانت جاهزة لتمضية العمر معه وهو من خذلها، فإن كان عمر يستغل الفرص ليعبّر لساره عن حبّه، فساره كانت تستغلّ الفرص لتذكره بالماضي الأليم!

لقد وصلا واندهشت ساره من المفاجأة لدرجة أنها لم تفهم شيئاً.

- عمر لماذا جئت بي إلى هنا؟.

- لو سمحت أعطيني يدك أميرتي ولا تخافي.

أمسكت ساره بيد عمر لأوّل مرّة بعد سنين عديدة، لتشعر بحرارة جسمها التي ترتفع وبنبضات قلبها التي تزيد.

أمسك عمر بيدها وضغط عليها ليؤكد لها أنّه سيحميها ما دامت ممسكة به.

كان عمر قد استأجر يختاً لهذه الليلة الرائعة، أراد لهذه الأمسية أن تكون رومنسية بقدر حبّه لساره وبقدر حب ساره له الذي كان يشعر به من خلال نظراتها التي

تشعّ نوراً.

- عمر لماذا نحن هنا، وإلى أين نحن ذاهبان؟!.

- سوف نتناول العشاء على متن هذا اليخت ونتحدّث، كل ما في الموضوع أنني أردت أن يكون كل شيء مميّزاً في هذه اللّيلة، مثلك تماماً!.

لم تكن الفرحة لتسع ساره، كانا وحدهما وسط البحر والنجوم، وكأن العالم بأسره كان في قبضتهما. ولكن شيئاً ما في داخلها كان يذكرها بعمر السابق لينقص من فرحتها.

- ساره إن أقسى ما قد يمرّ بنا هو أننا نفهم الأشياء في وقت متأخر جداً، فأنا

لم أكتشف مدى حبّي وتعلقي بك إلا عندما سافرت وابتعدت عنك، اكتشفت أن لحبك مكاناً في قلبي لا يمكن لأحد أن يملأَه غيرك! اكتشفت أن وجودك في حياتي أمر ضروري كي أستمرّ في التنفس! اكتشفت أن دعمك لي هو الذي أوصلني إلى ما أنا عليه اليوم واكتشفت اكتشفت اكتشفت... ولكن أهم ما اكتشفته في هذه المدّة أنه ليس للحبّ وقت، الاعتراف بالحبّ لا يكون متأخرا أبداً، لذلك دعيني أقل لك والبحر والسماء شاهدان على كلامي، أحبك يا أميرتي! أحبك، أحبك، أحبك!! ساره هل تقبلين الزواج بي؟.

اقترن سؤال عمر لساره بخاتم أحضره لها من الألماس، دليل على حبه وتقديره لها.

ارتبكت ساره، فرحت وتوترت ولكن الأهم أنها فكرت في نفسها وفي ما عانته وفي تخلّي عمر عنها في أصعب الأوقات. تذكرت الأيام التي أحبته وانتظرته فيها وهو بعيد، تذكرت الأحلام التي بنتها لحياتهما معاً ودمّرها، تذكرت حاجتها إليه في حين هو قرّر الرحيل. ساره ليست مدينة لعمر بأي شيء، على العكس هو المدين لها باعتذارات، لا يمكن لخاتم من الماس أن يعوّض عنها ولا لذلك الكلام الجميل أن يمحوها. سقطت دموع الوجع على وجه ساره، فهي وعلى الرغم من حبّها له لم تعد تثق به، هو من تخلّى عنها مرّة من أجل أهله وعاداته وشرقيته المفرطة يستطيع التخلي عنها ألف مرّة.

أجابته والدموع على وجنتيها:

- عمر لقد تأخرت في الوصول، لقد خلعت باب انتظاري لك، لقد نسيت أن أتنفسك في كل لحظة، لقد هجرت حبك كما هجرتني، عمر أنا كنت متأكدة أنك يوماً ما ستعود، واظبت لأعوام مضت على قول «لا» من أجل أن أهديها إليك يوم ستعود كما أهديتها إلي يوم رحلت، أنا لا أريد أن أعاملك بالمثل ولكن ليس باستطاعتي الوثوق بك من جديد ولا حتى بأي رجل كان!.

فوجئ عمر بردّ ساره، ما كان يخافه قد وقع، لقد خاف أن ترفضه وها هي ساره ترفض طلبه الذي هيّأ نفسه كثيراً كي يجرؤ ويطلبه. لم يكن يتوقّع ردّة فعلها السلبية، فعلى الرغم من خوفه كان يدرك تماماً أن ساره لاتزال تحبّه، وهو لم يخطئ في إحساسه، فساره لاتزال تعشقه كأول يوم




رأته فيه ولكن كل ما في الأمر أنها أرادت صون كرامتها وحقوقها ووجودها كأنثى لها رأي في هذه الحياة، لا لعبة يلعب بها عندما يشعر بالملل ويحطّمها عندما يكتفي منها!

- ساره أنا أدرك تماماً أنك تحبينني كما أحبّك، وأدرك أيضاً أنني ظلمتك في الماضي ولكنني نادم وأريد تعويضك عن كل ما مضى، أرجوك أعطيني فرصة لأثبت لك مدى حبّي.

- عمر أنا هي التي أرجوك، لا داعي لأن تفتعل الدراما، أحياناً يجب تمزيق الصفحة لا قلبها، وهذا ما فعلته منذ سنين، فمنذ أن رحلت وأنا قد مزقت صفحتنا معاً وبدأت صفحة جديدة تخلو من الماضي بأكمله.

كانت صدمة عمر كبيرة، فقد خذلته ساره كما خذلها هو في الماضي وها هو عائدٌ إلى الشطّ مغلوباً عليه رافعاً الراية البيضاء، فكلام ساره جعله يدرك مدى رفضها له.

* * *

ثمة نوعان من الشقاء:

الأول ألا تحصل على ما تتمناه.

والثاني أن يأتيك وقد تأخر

الوقت وتغيّرت أنت وتغيّرت

الأمنيات بعد أن تكون قد

شقيت بسببها بضع سنوات

أحلام

مستغانه

عانت ساره الأمرّين، فقد شقيت عندما كانت زوجة وهي تحاول كسب حبه وقلبه ولكنها لم تفلح، وها هي تشقى للمرة الثانية؛ فبعد أن بنت حياتها المستقلة ونجحت في نسيان حب حياتها ولو ظاهرياً، ها هو ذلك الحب يعود ليدق بابها، ولكنّ الظروف تغيّرت للأسف وساره نفسها تغيّرت. استفادت ساره من الماضي وجعلته منصّة للقفز لا أريكة للاسترخاء، استغلت ما جرى معها وجعلت منه مصدر قوتها لتنطلق من جديد؛ فساره، وعلى الرغم من حبها لعمر قررت الاستغناء عنه والتمسك بما وصلت إليه. فكما تقول غادة السمان: «عمر الكبرياء عندي أطول من عمر الحب، ودوماً كبريائي

يشيع حبي إلى قبره».

هذه هي حال ساره، فهي وتقديراً لكرامتها وكبريائِها ومعاناتها الماضية، تخلّت عن حب حياتها وقررت العودة إلى حياتها التي أتقنت فيها النسيان والتخلي عن شبح رجل عذّبها وتركها وحيدة. لقد اتخذت قرارها ولا عودة عنه، ستكمل حياتها بدونه كما كانت تعيش في غيابه.

* * *

استطاعت لينا أن تعود وتقف من جديد وتثبت لنفسها أولًا وللجميع أنها ليست المرأ التي تستسلم، فهي أيضاً جعلت من تجربتها المريرة حافزاً للتقدم. أثبتت نفسها في السوق وأصبحت معروفة ومقصودة من قبل الزبائن. حفرت لنفسها اسماً عريقاً في

عالم الموضة، في عاصمة الموضة. غريبة هي الحياة، فلينا التي لم تكن تهتم بهذه الأمور وبالموضة، ها هي الآن تضع بصمتها في جميع أنحاء فرنسا. ربما يعشق الإنسان الأشياء التي لم يكن يحبّها بعد أن يمرّ بكارثة. فللحياة منطقٌ من الصعب أن تفهمه.

* * *

- صباح الخير.

- صباح النور، أراك سعيدة اليوم على عكس البارحة.

- أنت محق أسامة، فأنا الآن أستطيع أن أقول بأنني حققت ما أردته.

- لست أفهم قصدك، ما هو الشيء الذي حققته اليوم وأسعدك إلى هذه الدرجة

وأنت في السابق حققت الكثير من الإنجازات.

- أنت على حق ولكن هذا الإنجاز هو بمثابة تقدير واستعادة لكرامتي بعد كل ما حققته.

لم يكن أسامة يفهم كلام ساره، ولكن هذا لم يعنِها، فهي لم تحادثه ليفهم، يكفي أنها تفهم وأنها حصلت على ما كانت تريد. أرادت أن يعترف لها عمر بحبه وأن يقدرها وهذا ما حدث، وعلى الرغم من أنها رفضته إلا أنها سعيدة لأنه أدرك قيمتها وهذا يشعرها أن ما فعلته طوال هذه السنوات قد أثمر في نهاية المطاف.

- أسامة أنا أعلم أنني كنت فظّة معك عندما حادثتني في المرة الأخيرة، أنا أعتذر

وأريدك أن تعرف أن وجودك في حياتي مهمّ جدّاً ولا أريد خسارتك أبداً.

فرح أسامة بكلام ساره، فبعد أن فقد الأمل، أعادت إليه ساره الروح.

لم تعده ساره بشيء البتّة، ولكنها على قدر ما تحترمه، أرادت أن تعبّر له عن مدى احترامها له وسعادتها بوجوده في حياتها. فهي على قدر ما أحبّت عمر، أرادت الحفاظ على حقوقها وكرامتها وكبريائِها وأصدقائِها.

وها هي نظريتها التي أرادت قولها لعمر الذي عاد إلى فرنسا مكسور الخاطر، حاملًا حب سارة وعذاب الضمير معه إلى بلاد الغربة.